المدينة العربية الاسلامية
التخطيط ، البيئة ، مدينة المرقد ــ كربلاء المقدسة أنموذجا

أ.م.د. ميثم مرتضى نصر الله
كلية التربية ــ جامعة كربلاء

ملخص البحث

ان الدراسة الموسومة ((المدينة العربية الاسلامية ـ التخطيط ـ البيئة ـ مدينة المرقد , كربلاء المقدسة أنموذجا)) جاءت لتوضيح طبيعة تخطيط وعمارة المدن العربية الاسلامية منذ نشأتها وصولا بها الى مراحل متقدمة من العصرين الأموي والعباسي .

ودراسة المدن العربية الاسلامية من الدراسات ذات الأهمية البالغة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية كونها تمثل المسرح الذي جرت عليه الأحداث بمختلف جوانبها السياسية والعسكرية والفكرية والاقتصادية وغيرها . لذلك نحن نعتقد بان أي دراسة لمثل هذا الموضوع يجب أن تقدم الإيضاحات عن كيفية نشوء المدينة الأولى في الإسلام على يد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ومن ثم مدن الأمصار الاسلامية في العصرين الراشدي والأموي .

لقد كان جل اهتمام الدراسة هو إيضاح الجوانب التخطيطية التي أرساها الرسول الكريم وظلت مستمرة إلى يومنا هذا في العديد من البلدان الاسلامية , وخير مثال على ذلك مدن المراقد المقدسة إذ أن هناك علاقة مشتركة بين ما وجد في صدر الإسلام وهذه المدن , فمن الطبيعي إن الرسول الكريم قد جعل من مسجده أساس نشوء مدينته وأول ما خطه منها وأصبحت هذه العمارة المركز لدى كل المسلمين , فيه تقام الصلاة وفيه أيضا يتم إصدار القرارات المهمة منها إعلان الحرب , ومن المسجد كانت تنطلق الجيوش الاسلامية كما انه أصبح المكان الأول لنشر الدين الإسلامي وتثقيف المسلمين . ومن هنا فقد تشابه واقع حال المدن الاسلامية المرقدية بواقع تخطيط مدينة الرسول الكريم اذ أصبح المرقد هو مركز مجمل النشاطات التي يقوم بها سكانها .

قسمت الدراسة إلى أربعة مباحث جاء الأول منها حول نشوء المدينة العربية الاسلامية ابتداء من مدينة الرسول الكريم ثم نماذج من مدن الأمصار الاسلامية . وجاءت الدراسة فيه عن بيان ابرز عناصر التخطيط بالنسبة للمسجد ودار الإمارة ثم تخطيط الشوارع وتقسيم المدينة إلى مجموعه من الخطط التي وزعت على القبائل العربية كل خطة حسب حجم القبيلة . اما المبحث الثاني فقد جاءت الدراسة فيه عن

تخطيط المدن والعمارة الاسلامية وقد اتضح ان اي عمل عماري كان يقوم به المعمار المسلم يسبقه عملية التخطيط , وقد استخدم كل ما لديه من خبرات ومعارف لذلك جاءت العمارة العربية الاسلامية بميزات تختلف عن واقع العمارة التي كانت سائدة في ذلك الزمن من بيزنطية وفارسية إذ أن المعمار كان قد طبعها بواقع الدين الجديد وآراء الفقهاء في عملية التخطيط والإنشاء .

وجاء المبحث الثالث ليوضح طبيعة البيئة وأثرها على تخطيط المدن والعمارة العربية الاسلامية . في حين جاء المبحث الأخير لوضح تاريخ مدينة كربلاء التي لم تنشا إلى من خلال كونها مدينة دينية مرقدية كما وضحت واقع المدينة الاقتصادي والدفاعي والخدمي وغيرها طبقا لنوع المدينة . وقد ختم البحث بأهم الاستنتاجات التي خلص اليها ثم بملحق بالصور والمخططات وقائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث .

ومن الله التوفيق

Abstract

The study entitled (The Islamic Arabic city – Designing , Environment – Shrine city , Holy Karbala as an Example) was carried out to show the nature and architecture of the Islamic Arabic city from its emergence to the advanced stages of the Amawy and Abbasid period (reign) .

The study of the Islamic Arabic cities is of great importance in the history of the Islamic Arabic civilization as they represent the theatre (platform) on which all events with all their levels – the political , the military , the intellectual the economical and others . Therefore , we think that any study of such a topic must present provide explanation on how the first city in Islam was established at the hand of the holy prophet (pbuhe progeny) and then the cities of the Islamic countries in the orthodox (Rashidy) and Amawy periods .

The main concern of the study was the clearing up of the designing sides established by the holy prophet , which continued to the present time in most Islamic countries and the best example

is the cities of the holy shrines as there has been a common characteristic between what was found at the early stage of Islam and these cities . It was obvious that the holy prophet had taken his mosque the basis for the established of his city and the first to plan and to build ; that architecture became the centre for all Muslims where prayer was performed and where decisive decisions were given such as declaration of war . From the mosque , the Islamic troops (army) set out and the mosque also became the first place to spread the Islamic religion and to educate Muslims . Accordingly , there noticed a noticeable similarity between the status of the shrine Islamic cities and the holy prophet city as the shrine was taken the center for all the activities the people practice and carry out .

The study was divided into four sections section one was on the emergence of the Islamic Arabic city starting from the holy prophet's city to samples of the cities of the Islamic countries .Here , the study showed the most prominent features of designing of the mosque and the house of the emirate (Darul – Imarah) and then designing the streets and dividing the city into steps and plans distributed among the Arabic tribes each according to the size (number) of the tribe .

Section two was on designing the cities and Islamic architecture . It was also noticed that any architecture work carried out by a Muslim architecture was always preceded by a designing process , in addition he employed all his experience and knowledge to do that , therefore , the Islamic Arabic architecture was characterized by different features different from the type and nature of prevailing at that time such as the Beezentiq and the persian . The architecture had stamped it with the nature of the new religion and with the opinions and the viewpoints of the Faqeehs(jurists) regarding the designing and construction process .

Section three came to show the nature of the environment and its effect on the designing of the cities and on the Islamic Arabic architecture . The last section was on the history of the

holy Karbala city which was not established but because it has been a religious shrine city . It also showed the economic , the defensive service , etc . nature of the city in accordance with the type of the city . The paper was terminated with the most important conclusions the researcher came out with and with an appendix of pictures and diagrams together with a bibliography of the sources used in the paper .

المبحث الأول

نشوء المدينة العربية الاسلامية

المدينة حقيقة مادية مرئية في مظهر الأرض من حيث الكثافة السكانية والكتلة البنائية والبعد التاريخي والحيثية الإدارية . وهي تاريخيا تعد وحدة تشكيلية قديمة خبرها المجتمع الإنساني منذ زمن يرجع إلى سبعة آلاف سنة وتعد من ابرز منجزات الإنسان ضمن حضارات كثيرة منها الحضارة العراقية والمصرية والعيلامية وغيرها . وفي صدر الإسلام اتبع المسلمون سياسة موحدة في تخطيط المدن والأمصار , كان قوامها المسجد الذي يمثل مركز المدينة وبجواره بيت المال ودار الأمارة , ثم تقسم حولها خطط الجند والقادة وباقي القبائل الوافدة[١] .

والامر الملاحظ بشكل بارز في العمارة العربية الإسلامية إن المعمار العربي المسلم حاول جاهداً الاحتفاظ بما ورثه من قواعد وأساليب عمارية وديمومتها[٢] . وفي إطار التمدن الإسلامي فقد اتخذ الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم خطوة مهمة وهي إبدال العصبية القبلية بالمواطنة والانتماء للأرض الموطن والأرض وذلك بإبراز أهمية الوطن والأرض وتنمية الشعور بالانتماء لها , واتجهت تطبيقاته نحو تأكيد هذا الاتجاه إذ ظهرت مسميات أخرى بدل مسميات القبائل , كاهل قباء وأهل المدينة وأهل الطائف وكان لهذا الاتجاه دلالاته الحضرية والاستيطانية[٣].

وبعد الهجرة النبوية الشريفة الى المدينة المنورة حدث تغيير واضح سعى إلى تحقيقه الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم أساسه الدعوة الى الإسلام وتهيئة

المجتمع الإسلامي الجديد لحياة حضارية تلازمت تماما مع اهتمامه بالكيان المادي للمدينة[٤] .

لقد اتسمت سياسة الرسول الكريم بتكوين دولته الجديدة باتخاذ بعض الإجراءات التي تمثلت بجعل المنشآت العمرانية على جوانب الطرق الرئيسة في المدينة المنورة , وتفرعت منها شوارع فرعية تتوغل داخل خطط الأنصار والمهاجرين , وبذلك يكون الرسول الكريم قد ربط أجزاء المدينة وحولها من قرى متناثرة إلى مدينة حضرية تتصل أطرافها بطرقات رئيسة بمركز المدينة وخصوصا بالمسجد الجامع[٥] .

إن طلائع المدن القديمة ـ التي من المناسب ان توصف بمولد الحضارة في بلاد الرافدين خاصة ـ قد حافظت على علاقاتها التقليدية بالزراعة التي نجدها في القرية , لذلك فمن المناسب ان يطلق عليها مصطلح (المدن الزراعية او دويلات المدن) اذ ان المصدر الرئيس لغذائها يأتي من الأرض التي حولها , وفي مرحلة لاحقة تقدمت وسائل النقل خارج مناطق تجهيزات مياهها وموارد طعامها المحلية , وهذا يعني ان احد ضوابط التحضر كان القرب من مورد مائي دائم وتربة خصبة , ومن ذلك فان توجه المدن للنمو على طول الأنهار كان أمرا طبيعيا لاستعمال المياه للزراعة والنقل ولأغراض أخرى[٦] منها الأغراض العسكرية لإعاقة تقدم الجيوش القامة من الضفة الأخرى والتمكن منها .

ان قراءة لأنماط البناء في مدن الحضارات القديمة تعطي أمثلة ناطقة عن انعكاس شخصية سكان هذه المدن وطبيعة معتقداتهم الروحية على التكوين العمراني[٧]. وكان الغالب في العصر الإسلامي الأول في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وأله وسلم والخلفاء الراشدين من بعده , البساطة وخشونة العيش والجهاد في سبيل الله ولم يعرف عن العمارة في ذلك الوقت سوى دار الرسول وبعض المساجد ذات جدران من اللبن وأسقف من سعف النخيل وهي بسيطة في تخطيطها , محاطة بجدران أربعة , وقد تحاط في بعض الأحيان بخندق محفور كما هو الحال في مسجدي مدينة البصرة ومدينة الكوفة[٨] .

ان مسؤولية توزيع الخطط كانت في يد الرسول الكريم باعتباره الحاكم , وان منهجه في توزيع الخطط هدف الى تجمع كل قبيلة في خطة خاصة بها وترك حرية تقسيم الخطط للقبيلة وفقا لظروفها وإمكاناتها في الإنشاء والتعمير ومدى الحاجة الى ذلك , كما روعيت النظرة المستقبلية لامتداد العمران[٩] .

واستكمالا لمرافق المدينة العمرانية اهتم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بإنشاء السوق وجعله سوقا واحدا بخلاف ما كان عليه الحال في العصر الجاهلي اذ كان في يثرب العديد منها منتشرة بين المحلات السكنية . كما اقر نظام المراقبة في الأسواق فكان يمر بنفسه في السوق ويوضح الأسس الاسلامية في التعامل[١٠] . والسوق في المدينة المنورة في بدايتها بعد الهجره النبوية عبارة عن فضاء واسع لا بناء فيه وكان على شكل ساحة مكشوفة والمكان لمن سبق , وضربت فيه بعض الخيام يبيع فيها أصحابها ما يعرضون من حاجات مختلفة , وكان الراكب ينزل بسوق المدينة فيضع رحله , ثم يطوف بالسوق ورحله أمام عينيه ولا يحجبه شيء[١١] . ومما لا ريب فيه انه كان لكل طائفة من الباعة موضع معلوم من السوق , حتى ان هناك مكانا كان مخصصا لبيع الحيوانات[١٢].

لقد أدرك العرب المسلمون أهمية الطرق للمدينة الاسلامية لذلك انشئوا مدنهم وبخاصة في العراق بمواقع تتميز بطرقها البرية والنهرية لأنهم قد أيقنوا ان الزيادة في عدد المسلمين والتقدم الذي يطرأ على المدن يتوقفان تماما على توافر وسائل النقل المختلفة المنظمة بالبر والنهر[١٣]

ان النظرة في أهمية الشوارع والأسواق بالنسبة للمدينة العربية لم تكن وليدة اللحظة وإنما نلاحظ ان جذور هذا الأمر تمتد الى العراق القديم فقد تميزت الشوارع بكونها طرقا ضيقة ملتوية تمر بين جدران عديمة النوافذ , ومداخل البيوت غير منتظمة , وكانت الأركان البارزة للجدران تبنى مستديرة او مقطوعة ليسهل المرور حيالها , وان معظم الشوارع لم تكن مبلطة تكثر فيها الأوحال في مواسم الأمطار , إلا انه كان هناك بعض الشوارع الواسعة المستقيمة المبلطة التي تمتد بين أبواب المدينة وساحة الحرم كما هو

الحال في شارع الموكب في مدينة بابل[١٤] . وقد امتازت حركة التطور العماري في العراق بالتفاعل الحيوي بين الطبيعة المناخية والمواد الخام الأولية المستخدمة في تزيين المباني وتشيدها , إذ استطاع العراقي القديم التعرف على الوسائل والطرق الفنية لتزيين الهيئة العامة لعمارته وذلك عن طريق التجارب المستمرة والخبرة المتراكمة عبر الأجيال , ومع بداية العصور الحضارية حرص على إيجاد التدابير والوسائل التزينية لإضفاء الجوانب الجمالية لمبانيه الدينية والدنيوية كالمعابد والقصور[١٥] . ونتيجة لتطور شبكة الطرق فقد شهدت مدن العراق منذ القدم نشاطا تجاريا وأقيمت أسواق بعضها كان ثابتا واخرى موسمية , مثل سوق بغداد غربي نهر دجلة , وسوق الثلاثاء في شرقي دجلة وغيرها[١٦] .

لقد استعاض مخططو المدن العربية خلال العصور الاسلامية المختلفة ابتداء من عصر الخلفاء الراشدون ومرورا بالعصر الأموي , فالعصر العباسي باستطلاعات مباشرة وكثيفة وزيارات للموقع الذي يريدون إقامة مباني فيه , فضلا عن إرسال مبعوثين من قبل الخلفاء أو الولاة أو القادة لفحص الموقع وتقدير مدى صلاحيته للسكن واختبار ظواهر الطبيعة والمناخ فيه[١٧] . والعمارة والفنون العربية تمتاز بوحدتها التعبيرية . بالرغم من شدة تنوعها والذي أصبح خاصية من خصائصها وهو ما لا يتعارض مع خاصية الوحدة[١٨], لأنه تنوع شبيه باختلاف لهجات اللغة الواحدة في الدول العربية وفي البلد الواحد أحيانا .

لقد سارت العمارة العربية الاسلامية على وفق المعطيات التي رسمتها الظروف المناخية والسياسية والاجتماعية , وكان دخول الأفكار الاسلامية الى شعوب الأقاليم التي حررها العرب المسلمون قد بدل من مفاهيمها الفنية وأعطى هذه المفاهيم أبعادا ومثلا وقيما جديدة[١٩]

يعكس التخطيط المادي للمدينة العربية الاسلامية المحاور المختلفة التي قام عليها تخطيط المدينة وجوانبه المختلفة , ويبدأ التخطيط باختيار موقع المدينة وعلاقتها بما يحيط بها , وقد اثر في اختيار الموقع عوامل مختلفة حسب طبيعتها من مدينة إلى

أخرى . وقد تعارف بناة المدن العرب على شروط أساسية يجب توافرها بصورة عامة في اختيار اي موقع من أهمها سعة مياهها واعتدال المكان وجودة الهواء والقرب من المرعى والاحتطاب وان تكون منازلها محصنة من الأعداء[٢٠] .

كان العرب إذا أرادوا بناء مدينة ارتادوا الأماكن المختلفة واجروا التحريات الطبوغرافية والمناخية والتعبوية لمعرفة صلاحيتها , كما فعلوا عندما انشئوا البصرة والكوفة والفسطاط وبغداد وغيرها[٢١] , واختلفت الأهداف التي أنشئت من اجلها المدن الاسلامية , فمنها ما بدا على هيئة معسكرات حربية , ثم تطور الى هيئة مدينة كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ومنها ما تخذ لأغراض إدارية مثل مدينة واسط , ومنها ما انشأ كعواصم او حواضر للدول المتتابعة كبغداد والقاهرة وفاس وغيرها , ومنها ما كان في بدايته مناطق ارتكاز تحصينية للدفاع , وبمرور الأيام غلب عليها الطابع المدني وتحولت الى مدن كالرباط والمنيستير ومجريط (مدريد) وغيرها[٢٢], ومنها ما نشأ مرتبطا بعوامل دينية كالنجف وكربلاء وسامراء وغيرها .

ان مسالة تأسيس المدن العربية الاسلامية واختيار مواضعها لم يكن من المسائل العشوائية والآنية[٢٣]. فعملية تخطيط الامصار الاسلامية قام بها العرب انفسهم ممن عاشوا في الجزيرة ولم يعرف لهم اتصال بالخارج او علاقة بالدولة الفارسية لذا يمكن اعتبارها مدن عربية خالصة[٢٤] . ان هذه العوامل والمتمثلة بالتعاليم الاسلامية والظروف الطبيعية الخاصة بالموقع واعتدال مناخها هي العوامل الفعالة التي اثرت في نشات ونمو المدن العربية الاسلامية في العراق , مثل الكوفة والفسطاط وكربلاء

ان أعظم الفنون الهندسية نهضت بمساندة التعاليم الدينية المختلفة لها ولا يشترط دين معين , فالمهم ان يتوفر ايمان قوي شامل . فنماذج التاريخ العظمى أشارت الى ان أعظم فن للعمارة اخرج في زمن توحدت فيه المعتقدات وخير مثال على ذلك ما يمكن ملاحظته ضمن الألف الثالث قبل الميلاد في عمارة الأهرام المصرية , فهو معتقد واحد اتفق عليه الناس كلهم وبينهم أرباب الفن والعمارة[٢٥]. وللعمارة الدينية أهميتها القصوى

في العالم القديم والوسيط فالدين كان هو المحرك الاساس للحضارة وهو مفتاح فهمها[٢٦].

وبعد المسجد الجامع الذي اتخذه مخطط المدينة المنورة وهو الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مركز مدينته , يلاحظ المنشاة المركزية الثانية وهي دار الامارة التي انشات في عصر الخلافة الراشدة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على وجه التحديد , وكانت تبنى ملاصقة للمسجد الجامع في ضلعه القبلي , ويعبر هذا التلاصق عن الصلة الوثيقة بين الدين والإدارة , ويعطي دار الإمارة بعض حرمة الجامع . ودار الإمارة مكان إقامة الوالي طيلة مدة ولايته وهو المركز الذي يصرف منه شؤون الإدارة ومقابلة الأفراد والوفود والجماعات[٢٧]. وتبرز أهمية دور الإمارة لأنها كانت مسكنا لممثل الخليفة ومقرا لمؤسسات الدولة المالية والإدارية وغيرها . فهي أيضا تمثل سلطة الدولة وهيبتها وقوتها , فكانت أبنيتها ابرز أبنية المدينة , وكانت مساحاتها واسعة لا تتصل بدور العامة بل تفصلها عنها في معظم الأحيان شوارع ومساحات وأصبحت تضاهي أبنية المساجد الجامعة التي تجاورها أو تتصل بها[٢٨] . ويصعب على الباحث ان يرسم صورة واضحة المعالم لفن تخطيط دور الإمارة وذلك لقلة النصوص التاريخية والآثار الباقية , فاهتم العرب المسلمون في بنائها بعد أن اتسعت دولتهم وتوطدت إقدامهم في الأقاليم المحررة , ويمثل هذا الاهتمام في اختيار موقعها وتوظيف أفضل الخبرات لتصميمها وبنائها واستخدام أحسن المواد البنائية لتشيدها , لأنها كانت تجاور جوامع المدن الاسلامية الأولى في البصرة والكوفة , واحتلت القلب أو المركز في المدينة وجعلت الجوامع مجاورة لها[٢٩] .

لقد نمت اغلب الأمصار الاسلامية وتوسع عمرانها فأمست مدن مأهولة بالسكان إلى الوقت الحاضر , وتحولت الى مراكز حضارية بالإضافة إلى مركزها السياسي والعسكري[٣٠]. وتبدو لنا هندسة المدن العربية الاسلامية وبناء مرافقها المدنية والعسكرية أنها لم تكن من الأمور المرتجلة , وإنما كان ثمة شيء من التنظيم منذ أول شروع العرب في تخطيط البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وواسط ثم بغداد وسامراء ,

وذلك في وضع العلامات على الأرض كما هو الحال في خطط الكوفة , الى التخطيط على الأرض بالرماد وهو ما حصل في تخطيط مدينة بغداد إلى عمل الخرائط والتصاوير والرسوم للأبنية . فقد صورت بغداد لملك الروم , أرضها وأسواقها وشوارعها وقصورها وأنهارها غربيها وشرقيها فاستحسنها ولم ير صورة شيء من الأبنية أحسن منها , في حين صورت الأسواق للمنصور عندما أراد إخراجها من المدينة المدورة على قطعة واسعة من القماش مد عليها الأسواق ورتب كل صنف منها في موضعه المناسب حتى أنها ثبتت على هذا الرسم(٣١).

وعلى الرغم من ان الهدف الذي بنيت من اجله المدن الاسلامية الأولى مثل البصرة والكوفة كان في أول أمره عسكريا فان يد الإبداع والتطور سرعان ما نالت هذه المدن سواء أكان ذلك من ناحية المساحة التي تشغلها المدينة أم مظاهر الإبداع والإتقان في الوحدات العمارية التخطيطية وتوفر كل مقومات المدنية فيها(٣٢) . ومنذ أن بدا العرب في تأسيس الأمصار في صدر الإسلام , لم تكن بعد العلوم الخاصة بدراسة جيولوجية المنطقة وتربتها وسطحها ومصادر المياه فيها ومناخها ونباتها الطبيعي والذي عرفته البشرية في إطار المفهوم العلمي الحديث الذي يعتمد على التحليل والاستنتاج(٣٣).

وبعد حملات التحرر والفتوحات العربية الاسلامية , وانتشار الإسلام انتشارا واسعا في أقاليم عربية وغير عربية , شهد العالم حركة عمرانية كبيرة , إذ مصرت في زمن قصير مدن عدة كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان , كما دخلت مدن كانت قائمة قبل الإسلام إلى حظيرة الدولة العربية الاسلامية مثل الموصل في العراق ومدينة دمشق في بلاد الشام , وشيراز وخراسان في المشرق العربي وغيرها . ونشطت حركة البناء والعمارة في هذه المدن وبنيت حولها الأسوار والحصون وأقيمت بها المساجد والدور والقصور والحمامات وخزانات المياه ودور العلم والبيمارستانات(٣٤) . ومع استمرار الفتوحات الاسلامية ودعم الجيوش بمقاتلين جدد حدث النمو الطبيعي في مدن الأمصار , وتماشيا مع توزيع القادمين على خط قبائلهم زادت الحاجة إلى المساحات لتلبية هذه الاحتياجات السكانية المتتابعة . فشغلت الساحات الفارغة وتلاصقت الخطط

وظهر نموذج جديد من المدن الاسلامية التي ولدت على الأرض البكر وهي تختلف بهذه الجزئية فقط عما عرفناه في مدينة يثرب التي طبعت بالطابع الإسلامي بعد الهجرة المباركة , وبذلك كان هذا الموقع خليط من التطورات الآنية وما كان سائدا قبل الهجرة النبوية الشريفة .

تأسست البصرة على يد القائد عتبة بن غزوان سنة ١٤هـ , وكان موضعها قريب من موقع مدينة الابلة المشهورة بأهميتها التجارية , وعرفت المنطقة التي أنشئت عليها مدينة البصرة عند العرب في العصر السابق للإسلام نسبة إلى طبيعة أرضها التي وصفت بأنها ارض غليظة رخوة لها حجارة بيض صلاب[٣٥] . أما الكوفة فهي ثاني مدينة عربية مصرها العرب المسلمون عام ١٧هـ اثر انتصارهم في معركة القادسية بقيادة سعد بن ابي وقاص[٣٦] . وعاشت رغم ما تعرضت لها من تخريب , وكان لموقعها الجغرافي والاقتصادي والعلمي والإداري أهمية خاصة في ديمومتها , وقد سلم من أبنيتها دار الإمارة ومسجدها الجامع , أما بيوتها وبقية مرافقها العامة فتغطيها أبنية المدينة الحديثة[٣٧] . أما مدينة واسط فقد تأسست على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨١هـ , ونظرا لأهميتها الإدارية والسياسية والاقتصادية فقد اتخذت مركزا لضرب الدراهم منذ أيامها الأولى حيث جمع الحجاج فيها الطباعين والصناع من المراكز الأخرى لسك النقود في العراق[٣٨] , ويبدو الأثر العسكري واضحا في تأسيس مدينة واسط فقد كان في قمة الأهداف التي حملت الحجاج على اتخاذ البصرة والكوفة فقال: ((أتخذ مدينة بين المصرين أكون بالقرب منها أخاف ان يحدث في احد المصرين حدث وأنا في المصر الآخر فمر بواسط القصب فأعجبه فقال : هذا واسط المصرين))[٣٩] . وتعد هذه المدينة من أهم المدن العراقية التي اندثرت في أوائل العصر العثماني[٤٠] , وذلك عندما أهمل شؤون الري فيها وابتعاد مجرى نهر دجلة عن المدينة وتحوله إلى مجراه الشرقي المنحدر إلى بلدة القرنة فعم الخراب سائر المدينة , وما أن حل القرن الحادي عشر الهجري ـ السابع عشر الميلادي حتى كانت هذه المدينة تقوم وحدها وسط البرية ولم تمضي إلا سنوات حتى هجرت[٤١] .

وفيما عدا الأمصار الثلاثة الأولى في العراق , الكوفة والبصرة وواسط ومركزي الخلافة في بغداد وسامراء , لم تفرض الدولة تحديدا على توسع المدن أو شكلا خاصا يتخذه تنظيمها , فكان التوسع والتقلص يجري تبعا للتطورات العامة وليس على أحكام مفروضة[٤٢] .

ومن جهة أخرى فان المدن القديمة لم تحور بعد الفتح الإسلامي فحسب بل ان بعضها منح مع الأيام الكثير من الأبنية الاسلامية من جوامع ومساجد ودور إمارة ومستشفيات وحمامات وخانات , وكان بعض المدن كالمدائن التي تعد رمز الحضارة الساسانية , فقد ظلت متهدمة لم يحاول المسلمون إعادتها إلى الحياة , وكذلك لم يأبه العرب المسلمون إلى مدينة الحيرة التي خلت من أهلها بعد بناء الكوفة , كما ان بعضها الأخر ظل يعيش على سمعته السابقة فلم تتطور او تتسع مثل الإسكندرية وطرابلس الغرب , ولكن مدن أخرى تطورت التطور الواسع وصارت مدنا كبرى تساندت مع المدن الاسلامية الخالصة في حمل الحضارة الاسلامية مثل مدينة بخارى وسمرقند ونيسابور[٤٣] .

لقد تغيرت نظرة الحكام الى الحياة بعد أن انتقلت الخلافة الى بني أمية , فنجد ان بعض الخلفاء الأمويين بعد أن استقر حكمهم في دمشق ودانت لهم جميع بلاد الشرق الأوسط وشمال إفريقيا , اهتموا بتشييد العمائر الضخمة تشبها بما كانت قد أقامته الدولة الفارسية والبيزنطية , وبذلك بدا نشاط الحركة العمارية التي أنتجت مدارس فاخرة تتفق مع انتشار الدين الجديد ولا تقل في فخامتها عن الكنائس البيزنطية , كما يشمل أيضا الدور والقصور التي أقامها الحكام الأمويون لسكناهم , وقد تم الاستعانة بعمال سوريين مدربين كما استقدموا أيضا العمال والفنيين المهرة من مختلف أقطار الإمبراطورية الاسلامية[٤٤] . وقد نتج عن ذلك ظهور طراز جديد في تاريخ العمارة الاسلامية وهو الطراز الأموي والذي يعد استمرا ـ مع بعض التجديد ـ لما عرفته العمارة في بلاد الرافدين وتاريخ العرب قبل الإسلام . وانتقل هذا الأمر إلى مختلف ولايات الدولة الأموية بعد فترة قصيرة من تحرير العراق واستقرار الحكم فيه واتخاذه قاعدة

لانطلاق الجيوش الاسلامية المحررة كما عادت من جديد الطرز العمارية السابقة للظهور والتطور وأبدع المعمار تحت حماية الأفكار الدينية الجديدة عن طريق بلورة الأساليب والطرز القديمة وفق متطلبات هذه الأفكار متى احتاج إلى ذلك[٤٥] .

ويمكن القول أن مدنا مثل اربيل ودمشق تعتبر من أقدم مدن العالم التي لا زالت تعج بالحياة وتمارس وظائفها على مختلف مراحل تطورها مقارنة مع مدن العالم الأخرى , وهكذا فان الظاهرة العربية والحضرية ورثت إرثا غنيا من التجارب التخطيطية التي انعكست على مورفولوجيتها والتي تبلورت في العهد الإسلامي مما بلور شخصيتها وأعطاها الهوية التخطيطية الفريدة بين مدن الحضارات الأخرى التي استفادت بأوجه متعددة من ذلك التخطيط[٤٦] . والمورفولوجية : هي عبارة عن ثلاثة عناصر متفاعلة تشكل بنية ومظهر المدينة وهي ١ ـ مخطط المدينة ويتكون من ثلاثة عناصر : أ ـ نظام الشوارع ب ـ نمط قطع الأراضي ج ـ نمط الأبنية ٢ ـ النسيج المعماري ٣ ـ استعمالات الأرض الحجرية[٤٧] .

المبحث الثاني

تخطيط المدن والعمارة الاسلامية

للقيام بأي عمل عماري يجب أن يسبق ذلك عملية التخطيط , فالتخطيط هو الشكل الذي تبدوا عليه المدينة من خلال انتظام شوارعها وميادينها وتجمعاتها السكنية وفق نظام معين يحيطها شكلا حضاريا يختلف عن غيرها من المدن التي تنمو وفق خطه اخرى[٤٨] . وينطبق الكلام عن التخطيط على بناء معين أو عمل زخرفة وهو أمر يتطلب وضع رسومات أو مجسمات تسبق التنفيذ . ويقال : خطط التخطيط رسمه ومسطره ، وخط على الشيء رسم عليه علامة وخط الخطة ، اتخذها واعلم بها ، وخط الأساس ، حفره وشقه وخطط المكان قسمه وهيأه للعمارة , والتخطيط في علم الهندسة هو فكرة مثبتة بالرسم والكتابة أو هو التصميم الهندسي وفن تشكيل الأبنية والمنشآت[٤٩] .

كما إن عملية تخطيط المدن ليس امرا جماليا للمدينة فحسب وان كان جزءا منه وإنما هو عملية شاملة متكاملة تتدخل في جميع نواحي الحياة الاستيطانية والبشرية[٥٠] . كما أن التخطيط له التأثير المباشر على دواخل المباني الاسلامية , فالمدينة العربية مجموعة مبان متجانسة بين التخطيط والتصميم تكمل بعضها بعضا وعلى ذلك فالشوارع والأزقة فضاءات مكملة للأبنية بحيث تتم فيها بعض الفعاليات الاجتماعية في المدينة العربية التقليدية[٥١] .

لقد استخدم المسلمون الأوائل في هذا الصدد كل ما لديهم من خبرات ومعارف فمسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة كان مربع التخطيط , وكذا كان الحال في مسجد الكوفة عام ١٣٦هـ /٧٥٤م , الأمر الذي يلبي انتظام صفوف المصلين , أما قبة الصخرة التي أنشئت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام ٧٢هـ /٦٩١م فقد أقيمت على هيئة مثمنين متداخلين لخدمة غرضها الإنشائي وهو الطواف حول الصخرة المقدسة التي عرج من عليها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى سدرة المنتهى ليلة الإسراء والمعراج , بينما عملت مدينة بغداد التي أنشئت في عهد أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ /٧٦٢م على هيئة دائرية ذات بوابات منكسرة بفكرة عسكرية حربية خالصة[٥٢] .

والعمارة شانها شان سائر الفنون تتميز بقدرتها على تجسيد مشاعر الإنسان وطموحه وأفكاره إذ إنها تبقى مسرحا واسعا لعرض المفاهيم الفنية من خلال تعاملها بشكل واسع مع عامة سكان المدينة[٥٣] . لقد أقام مخططو المدن العربية الاسلامية مدنهم في مواضع ومواقع تتأكد فيها بصورة واسعة جوانب الموارد والثروة المتمثلة بالتربة الخصبة والطرق المتعددة والمناخ الجيد وتوفر المياه والمواد الأولية الداخلة في البناء[٥٤] , وما تتسم به من خصائص حددت البدايات الأولى لتشكيلات عناصر العمارة القديمة والعمارة الاسلامية . وعمل المعمار جهده من اجل استعمالها في البناء على النحو الأمثل وتطويرها عبر العصور[٥٥] .

اما التحريات الطبوغرافية والتي تم الاشارة اليها فيما سبق فهي تعد الركن الاخير والاساس في نجاح مشروع الانشاء الذي يتفق مع مقاصد إقامة المدن كما فعل العرب ذلك عندما تم إنشاء البصرة والقيروان على حافتي الصحراء لأسباب عسكرية , واختيار مدينة واسط كيما تتوفر فيه المقومات الإدارية , وكان اختيار مدينة بغداد لأسباب لاسباب مختلفة تحصينية وإدارية واقتصادية , ويكون موقعها يتوسط أقاليم الدولة الاسلامية من مختلف الاتجاهات وتكون وسطا في ارض العراق وبين النهرين العظيمين دجلة والفرات . ويمكن القول ان معظم أسس وتقاليد العمارة العربية الاسلامية من حيث التخطيط والتكوين والعناصر لا تزال صالحة لان تفي بحاجات طبقات الناس في العالم الإسلامي , ولو توفرت العناية بدراستها وتوفر الفهم الصحيح لأسسها وللعوامل التي أنتجتها لساعد ذلك على تطويرها بما يلزم مختلف الطبقات والعصور[٥٦] .

إن الإنسان لا يمكن أن يقلل من اثر الدين الإسلامي الحنيف في تخطيط المدينة العربية والإسلامية وتنفيذ ما يلزم لأجل إظهارها إلى ارض الواقع فالإسلام يلقي ظلا من السلطة على المدينة في تركيب بنيتها وتشكيل وحداتها السكنية وتنظيم حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية , ولا يمكن كذلك الإقلال من اثر المناخ ووجود المياه في نشأت وتشكيل المدينة العربية الاسلامية[٥٧] . ان هذه العوامل المتمثلة بالتعاليم الاسلامية والظروف الطبيعية الخاصة بموقع المدينة واعتدال مناخها هي الامور الفعالة التي أثرت في نشأت ونمو المدن العربية الاسلامية في العراق , مثل الكوفة والفسطاط وكربلاء . وقد حظيت قبور الأئمة وبعض الشيوخ باهتمام كبير حيث قامت حولها مدن كاملة وتطور فن تخطيط هذه العمارات على مر العصور وصارت تتسم بسعة ملحقاتها وترتيبها بشكل أسوار تفصل بين القبر وما يتصل به وفضاء يدور حوله وما يحيط به من أسواق ودور مجاورة[٥٨] .

في هذا الصدد فقد اشار الموسوي الى الفرق بين مصطلحين مهمين هما الموضع والموقع , إذ يعني المصطلح الأول الصفات الطبيعية للمكان الذي تمثله المدينة من

حدودها , وبمعنى آخر انه يمثل العنصر الطبيعي الذي تحدده البقعة التي نهضت فوقها المدينة , وهي التي تكون عونا لها , لكي تبقى مستمرة إذا ما حالف التوفيق اختيارها لما تمتاز من مزايا محلية وإقليمية[٥٩] . ويعني المصطلح الثاني(الموقع) جميع الارتباطات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية بين المدينة والمناطق المحيطة بها او بإقليمها , وبعبارة أخرى يشمل الموقع على جميع الارتباطات المكانية بين المدينة والمناطق الأخرى , كما يلقي موقع المدينة في علاقاتها بالموارد المحلية وإمكانياتها الزراعية وسهولة المواصلات والنقل سواء عن طريق البر ام البحر يلقي الضوء على أهميتها ونواحي نشاطها الاقتصادي[٦٠] . ان من أهم عناصر الموضع التي لاحظها المخطط العربي هي التركيب الجيولوجي والتضاريس والمناخ والتربة ومصادر المياه والنبات الطبيعي , وبالإمكان ملاحظة أهمية كل من هذه العناصر عند دراسة أية مدينة عربية , فعند اخذ مدينة بغداد مثلا يمكن ملاحظة إن بنائها قد وجد في موضع ذو تربة صالحة للزراعة وتضاريس مساعدة للنمو والتطور العمراني ومناخا مقبولا نسبيا مقارنة مع مواضع أخرى وقلة في الأمراض والأوبئة وتوفير الحماية النسبية من الفيضانات إذ ان المدينة قد نمت على كتف نهر دجلة , إضافة إلى توفر مصادر المياه عن طريق نهر دجلة وفروع الفرات المتجهة إلى بغداد[٦١] .

ان تخطيط المدينة يختلف عن خطتها , إذ أن الخطة تقترن بالتركيب العمراني فقط بينما التخطيط يشمل كل ما يتعلق بالمدينة من الناحية الطبيعية والجغرافية والحضارية والسكانية والعمرانية والإقليمية[٦٢]. ولقد عرفت العمارة أنماطا متعددة من المباني فبالإضافة إلى القصور والبيوت , بنيت الحصون والأسوار والقلاع والجسور والقناطر والقيصريات والحمامات والمستشفيات والخانات . ((لقد تنوعت العمارة العربية الاسلامية وظهرت فيها طرز متميزة في التخطيط والتصميم والإنشاء فضلا عن اختلافها في الإغراض والمقاصد والأهداف))[٦٣].

ومما تجدر الإشارة هنا انه يندر أن يستمر العامل الأساسي باحتكار سبب التطور فإذا ما نشئت المدينة لعامل ما حتى تظهر إلى جانبه وتتفاعل معه عوامل أخرى مما

يعكس الطبيعة العضوية للمدينة العربية الاسلامية[٦٤] . وقد اهتدى المسلمون في العراق والبلدان الاسلامية الاخرى اهمية العامل الديني في تشكيل المدينة وطرز عمارتها من جهة ومن جهة اخرى اهمية الظروف الطبيعية لتحقيق الاستمرار وإدامة العيش باسلوب امثل مما اعطاها ميزة تختلف عما هي عليه الحال في المدن ذات الشعوب غير المسلمة . وتعددت أقسام المدن الاسلامية وفقا للوظائف والمهمات الرئيسة التي تميزت بها دون غيرها , وذلك اعتمادا على خصائصها الظاهرة التي انفردت بها , فهناك مثلا خصائص متميزة انفردت بها المدن التي كانت تقوم بوظيفة دينية وكان من أبرزها مدينة كربلاء التي فاقت شهرتها على معظم المدن المرقدية .

لقد أصبح تاريخ فن العمارة الاسلامية يتميز بصفة العالمية لان الأسس المرئية والأحكام الفقهية أريد أن تكون لها خصوصية موحدة , كما ان الدولة العربية الاسلامية لم تعرف الحدود والفواصل التي تتأكد خريطتها اليوم , وان عوامل التقارب والاندماج وتوافق الأفكار في إطار الدين واللغة كانت أقوى من عوامل العزلة[٦٥] . وتوطدت الروابط الروحية والثقافية والحضارية بعد ان انتشار الإسلام وصولا الى العصر العباسي , إلى الحد الذي لم يكن ليفصلها أي عامل مهما بلغ من القوة , فقد ساد التماسك والوحدة في ظل الجغرافية الاسلامية ولم تؤثر عليها الاضطرابات السياسية التي انتابت العالم الإسلامي بل واصلت مسيرتها في وحدة الأساليب والزخرفة في معظم الأقاليم , مع ظهور بعض التنوعات في الأساليب الفنية والخصائص العمارية والتي لا تتعارض مع خاصية الوحدة , لأن هذا تنوع هو شبيه باختلاف لهجات اللغة الواحدة في الدول العربية[٦٦] .

لقد سار منهج تخطيط المدن العربية الاسلامية ومراحل إنشاء تكويناتها العمارية في توافق تام مع أحكام البناء[٦٧] التي اقرها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ومن ابرز ما يميز ذلك إن النوافذ في المباني الخاصة لم تكن تفتح على الفضاءات الخارجية بل استخدم الفناء الوسطي المكشوف في فتح النوافذ للأجنحة المختلفة المطلة عليه تجنبا لصعوبة فتحها على الشوارع الخارجية بدرجة كافية للتهوية والإضاءة . وفي

الفترات المتأخرة فتحت مثل هذه النوافذ وزودت بسواتر خشبية فيمكن من خلالها لمن في داخل البيت رؤية الخارج والعكس صحيح إضافة إلى ميزتها الأخرى وهي التقليل من الأشعة المارة من خلالها وكسرها[٦٨] والتي عرفت بالشناشيل . ويبدو إن أسلوب عدم فتح النوافذ على الطرقات العامة له جذور متأصلة في العمارة العراقية القديمة إذ كانت النوافذ قليلة وصغيرة في أعلى الجدران قريبة من السقف وهي ذات قضبان خشبية أو حواجز من الطين المفخور وتتركز مثل هذه النوافذ في الطوابق العليا وإذا وجدت في الطوابق السفلى فإنها تطل على فناء الدار وهي تستمد النور والهواء من أبوابها , وهذا التصميم مناسب في العراق بسبب شمسه الساطعة وحرارته الشديدة في الصيف , والظاهر من هذا التصميم إن الرغبة في العزلة كانت قوية في العراق ومدن الشرق الأخرى حسب ما أفرزته العمارة والى وقت قريب جدا[٦٩] . ومنذ بدايات القرن العشرين بعد الاعتماد على التصاميم الغربية في البناء الامر الذي ولد حالة من التشوه فيها فابتعدت عن الخصوصية المعروفة لها .

ومن جهة اخرى فقد اعتمد المصمم العربي في بعض الحالات على إيصال الضوء إلى داخل مرافق المبنى عن طريق الفتحات الضوئية النافذة من سطح المبنى , ولدينا أمثلة عديدة من العصر العباسي المتأخر , كما في المدرسة المستنصرية وخان مرجان وقد حوت بعض سقوف المباني في الخانات والحمامات والبيوت على مثل هذه الفتحات[٧٠] كما ان عمارة المراقد الدينية هي الاخرى قد تميزت بذلك ومنها مراقد مدينة كربلاء . ومن اجل ذلك فان القيام بأي عمل عماري يجب أن يسبق ذلك عملية التخطيط سواء أكان لإقامة مدينة أو القيام ببناء معين أو عمل زخرفة وهو أمر يتطلب وضع رسومات أو مجسمات تسبق التنفيذ . ويقال : خطط التخطيط رسمه ومسطره ، وخط على الشيء رسم عليه علامة وخط الخطة ، اتخذها واعلم بها ، وخط الأساس ، حفره وشقه وخطط المكان قسمه وهيأه للعمارة . والتخطيط في علم الهندسة هو فكرة مثبتة بالرسم والكتابة أو هو التصميم الهندسي وفن تشكيل الأبنية والمنشآت[٧١].

لقد برع المهندسون العرب في الإعمال الهندسية العمارية وأنتجوا لنا تصميمات المباني الضخمة[٧٢] التي لا تزال آثارها إلى اليوم منها عمارة قصر الاخيضر في كربلاء . وفي بغداد وقبل أن تحفر أسس المدينة المدورة أحب المنصور أن يتبين معالم تخطيط مدينته ثم أمر أن يخط بالرماد وجعل على تلك الخطوط حب القطن وصب عليها النفط , واشتعلت ففهمها وعرف رسمها[٧٣] . وكيفما كانت الحال فان تصميم مدينة السلام متقن جدا وتدويرها تام وأسوارها ضخمة ومتينة وأسواقها معزولة , وجعلت خطط الناس بين السور الأعظم والسور الداخلي ووضعت الخطط بهيئة هندسية متقنة حيث تخترقها شوارع مستقيمة تؤدي من جهة إلى السور الداخلي ومن جهة أخرى إلى السور الأعظم , أما الفراغ بين السور الأعظم والسور الخارجي فهو خالي من السكن , ويطل السور الخارجي على خندق المدينة الذي يمكن اجتيازه عن طريق أربعة جسور يؤدي كل منها إلى احد أبواب الأسوار التي جعلت على خط محوري واحد بحيث تقسم المدينة إلى أربعة أرباع[٧٤] .

ومن جهة أخرى فقد نفذت تصميمات شاملة للعمائر ووحداتها على مواد مختلفة من ورق وقماش وجلود فضلاً على عمل نماذج مجسمة لبعضها[٧٥]. وإن العمائر الضخمة المتنوعة المنتشرة في إنحاء العالم الإسلامي وما تحمله من ثروة زخرفيه وفنية تؤكد استحالة تنفيذها بهذه الدقة من دون رسومات مسبقة تنفذ بمقتضاها[٧٦] , لذلك فان الرسم التخطيطي يمثل الأساس في إي مشروع سواء أكان لبناء مدينة معينة او إنشاء عمارة جديدة , والمخطط يوضح بعدين فقط هما الطول والعرض وكذلك الفناءات الداخلية ومساحات الشوارع والأبواب وما إلى ذلك[٧٧] .

لقد تسببت العمارة العثمانية التي تأثرت كثيرا بالعمارة الرومانية , في إضعاف أصالة وأسس وتقاليد العمارة الاسلامية التي بذل المعماريون من العرب والمسلمين جهودا متصلة متتابعة على مدى عشرة قرون لإرساء قواعدها ثم تطويرها في الأقطار المختلفة مع الحرص الشديد للحفاظ على شخصيتها وطابعها الأصيل[٧٨] . ومن ابرز الأمثلة على ذلك ما حدث في هذا العصر من انقطاع لحلقات تطور المسجد الذي يعد من أهم

معالم العمارة الاسلامية وبخاصة في تصميم المساقط والكتل البنائية . لقد نتج من تأثير كنيسة ايا صوفيا[٧٩] البيزنطية في مدينة اسطنبول ذات التصميم والتخطيط المقتبس من البازلكا الرومانية ـ عبارة عن بناء كنسي يتألف من ثلاثة أقسام طولية الجزء الوسطي فيها أكثر عرضا ـ ان قطع المعماريون في العصر العثماني صلتهم بالتصميمات الاسلامية للمساجد التي كانت تتمثل في النموذجين الرئيسين , أولهما التصميم النبوي ذو الصحن والمضلات , وثانيهما النموذج السني ذو الصحن والايوانات , وكان المسجد في هذين النموذجين يختلف عن الأخر في النسب والعناصر والزخارف المعمارية[٨٠] .

إن التأثير المسيحي على العمارة العثمانية بلغ أقصى حدوده عندما بدا المعمار يعمل المحراب في بعض المساجد على هيئة حنية الصلاة في الكنائس والتي تتصف بالاتساع لإقامة طقوس الصلاة[٨١] . وبالرغم من ذلك فيمكننا القول ان العمارة العراقية وعلى طول الفترة التي استمر فيها الاحتلال العثماني للعراق (١٥٣٤ ـ ١٩١٧م) الا انه لم يستطع ان يجعل بصمة واضحة على هذه العمارة تؤيد طابعه الخاص الذي كان قد استورده من العمارة البيزنطية القائمة آنذاك , وتشهد النماذج العمارية القليلة الباقية من تلك الفترة على محدودية هذا التأثر ومن هذه النماذج ما نراه في عمارة وتخطيط بعض الجوامع في بغداد منها جامع الحيدر خانة وجامع الإمام العاقولي . لقد جلب سلاطين آل عثمان المعماريين والفنانين من البلاد الأوربية والعربية وخلطوا التقاليد لمدرسة العمارة العثمانية التي تتصف بأنها خليط من الخصائص والتقاليد والعناصر من مدارس وطرق مختلفة ومن عدة عصور[٨٢] , وتوفرت ظروف وعوامل وبإمكانيات عظيمة , مادية وبشرية جعلت سلاطينهم وكبار رجال دولتهم يحصلون على ما يبتغوه من العظمة والضخامة التي اوحت بها كنيسة أيا صوفيا فحاولوا أن يقلدوها ويرتفعوا فوق مستواها[٨٣] . ومع ذلك فقد استخدم الفنان المسلم أساليب فنية متعددة لتجميل مبانيه واظهارها بمظهر العالمية , وابرز هذه التقنيات تتمثل في الرسوم

الجدارية واستخدام الآجر المزجج وطريقة الزخرفة بأسلوب الطبع[٨٤]. كما ان المصمم قد ايقن ان للزخرفة أغراضا ثانوية مكملة للغرض الوظيفي[٨٥] .

المبحث الثالث

البيئة وأثرها في تخطيط المدن والعمارة الاسلامية

علم البيئة هو دراسة علاقة الكائن الحي بمحيطه ويعنى بالعلاقة المتبادلة بين الكائن الحي ومحيطه[٨٦]. والعمارة العراقية قديما وحديثا هي بنت البيئة العراقية ومناخها لذلك فإنها ضمت بذلك شروط استمرارها وتطورها لتصبح ملائمة أكثر لاحتياجات الإنسان[٨٧] . ويرتبط علم البيئة ارتباطا وثيقا بعلم الجغرافية كونه العلم الذي يبحث في تضاريس الأرض وحركة الرياح واختلاف الحرارة والضغط وحالات الجفاف والرطوبة وتساقط الأمطار ومواسمها ثم معرفة اثر هذه الظواهر في حياة الكائنات الحية ومنها الإنسان[٨٨]. ولان مناخ العراق لم يتبدل في الثمانية آلاف سنة الأخيرة لذا فان أنماطا معمارية لم تتبدل هي الأخرى حتى منتصف القرن العشرين وبفعل دخول الاسمنت في البناء[٨٩] .

وفي العراق فان جوه الحار استلزم عمل سراديب أرضية في العمائر السكنية يحتمي بها سكانه من شدة حرارة النهار في الصيف بينما يستعملون أسطح المنازل البيوت للنوم ليلا[٩٠] .

ان علاقة الإنسان بالبيئة التي تحيط به تتجسد بشكل مباشر عند دراسة وضع الإنسان العام الذي سكن الصحراء وكيف انه بذل محاولات جبارة من اجل التغلب على قساوتها ومقدرته العالية في وضع الحلول والمعالجات . ومن هنا يتجلى لنا ان حرص الإنسان على التكيف في اشد الظروف قساوة , كان كبيرا جدا , ويمكن مقارنة هذا الأمر مع موقع مدينة كربلاء بالرغم من إن عملية اختيار الموقع لم يتدخل فيها الجهد البيئي نظرا لان المدينة كانت قد نشأت حول مرقد الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام , إلا أن التفكير في جعل المكان مناسبا لقيام حضارة هذه المدينة كان الشغل

الشاغل إلى مجمل من سكن هذه الأرض وكان ذلك منذ الأيام الأولى لواقعة الطف الأليمة .

وعلى الرغم من وجود بعض المعوقات على ازدهار هذه المدينة في العصر الأموي والعصر العباسي الأول إلا انه من الملاحظ وجود الرغبة العظيمة من قبل محبي آل البيت عليهم السلام ممن جاور القبور المباركة في إيجاد أفضل الوسائل لازدهار حضارة المدينة واستيعاب الأعداد الغفيرة من جمهور المحبين , وكان كل ذلك قد جاء من الحرص الشديد على التلاؤم مع الظروف البيئية الموجودة وخلق بيئة جديدة تمكن سكان المدينة والأعداد الوافدة إليها من ممارسة نشاطاتهم الحياتية المختلفة ويتمثل ذلك من خلال توفير المياه واستصلاح الأراضي وجعلها مناسبة للزراعة وإيجاد نمط عماري وأساليب حماية للمدينة تمكنها من خلق الظروف الطبيعية لازدهار كافة الأوجه الحضارية من دينية وسياسية واجتماعية وعمرانية وغير ذلك .

إن العمارة العراقية هي ثمرة التفاعل بين الإنسان والبيئة في بلاد الرافدين ولذلك قلما نرى تحويرا في مبادئ العمارة مثلما نرى في الإشكال والأنواع التي تطورت مع الزمن الى الأجمل والأفضل مع الحفاظ على الأسس المبدئية [٩١] . وإن من ابرز الخصائص الجوهرية في المباني الأثرية العراقية هي قدرتها على استيعاب خصائص الأرض والبيئة والمتطلبات الوظيفية للمبنى وتكوين التآلف بينها وبين مواد البناء للوصول إلى مبان ذات مضمون يحقق الاستخدام الأفضل للإنسان[٩٢] .

ومن الملاحظ ان المدن العربية الاسلامية تبدو انها ناضجة وتعطينا فكرة واضحة عن الصلة بين الإنسان والمكان ويظهر في حياتها وشكلها وسلم التطور الكبير فيها فنجد صفة القدم والجودة تبدو في أحيائها المختلفة كما يبدو لكل محلة من محلاتها طابعه الخاص[٩٣] . وتبدو العمارة في ظاهرها بأنها نتاج مادي صرف إلا أَّن في أبعادها الحقيقية حيوية غير منفصلة عما يحيط بها من مؤثرات أبرزها العوامل المناخية لما لها من تأثير كبير في تحديد تصاميم هيكلية البناء ، وحاول المعمار أن يجعل

المبنى متناسباً وطبيعية المناخ بعد إدراكه حركة الرياح وكذا الأحوال المناخية المتقلبة والتي أخذها باهتمام عند تنفيذ المبنى[٩٤] .

كان للشروط المناخية المتبعة في اختيار مواقع ومن ثم تصميم المدن العربية الاسلامية الأثر الواضح على تخطيط مباني المدينة وشوارعها وخصوصا في تحديد اتجاهاتها , وقد تشابهت هذه التأثيرات في معظم المدن الاسلامية , خصوصا وانها في الغالب تقع في المنطقة الحارة , فتلاصقت المباني وتدرجت مقاييس الشوارع وأصبح الفناء الوسطي المكشوف عنصرا رئيسا في تخطيط التكوينات العمارية المختلفة[٩٥] .

ومن جهة أخرى فان من اهم الظروف المتعلقة بالبيئة كانت المياه , فكان لها بنوعيها السطحية والجوفية التأثير الأهم على حياة الإنسان منذ القدم اذ أثبتت الدراسات ان معظم مدن حضارة العراق قديما قد أنشأت على ضفاف نهري دجلة والفرات وفروعهما , أما المدن البعيدة عن ذلك فكانت الآبار المحفورة باليد وسيلة الحصول على المياه[٩٦], لذلك فان حفظ نظام الري هو العامل الرئيس في رفاه البلاد[٩٧] . مما لاشك فيه ان ما قام به بناة المدن العربية آنذاك من إجراءات خاصة تتعلق باختيار الموضع والموقع , والتحريات الطبوغرافية والصحية والمناخية واختيار الارض ومصادر المياه , يحظى بتقدير الباحثين المتخصصين من علماء الجغرافية والاجتماع وتخطيط المدن , ويدلل في الوقت نفسه على استيعابهم العلاقة بين ظواهر الطبيعة بصورة عامة , على نمو المدن وازدهار الحياة فيها وتأثيرها على النسيج العمراني وبتالي تأثيرها على التطور الحضري للمدينة[٩٨], لذا نجد أَن المعمار قد أخذ بنظر الاعتبار تصاميم الأبنية التي تنفذ في المناطق الحارة الجافة والتي تكون فيها أشعة الشمس ساطعة في أكثر أوقات السنة , وتتباين من حيث التصميم عن تلك التي تقع في المناطق الباردة[٩٩] . لذا يحرص مخططو المدن على دراسة الوضع البيئي لموضع المدينة المقترح وحالة المناخ والفيضان والنبات الطبيعي وخصوبة الارض وصلاحيتها للزراعة وتوفر مصادر المياه[١٠٠]. ومن اهم نتائج العامل الجغرافي في نشوء المدن العربية الاسلامية اتجاه الناس الى التجمع في السهول والوديان وعلى ضفاف الانهار وحول موارد المياه العذبة

التي تساعد على يسر المعيشة . واصدق الامثلة على ذلك ما نجده في بلاد الرافدين اذ بقيت فيها آثار كثيرة توضح قيام مجتمع متحضر

وضمن موقع المدينة فقد حاول المعمار مليا ان يكيف مبانيه مع طبيعة المناخ المميز لبلاد الرافدين بفصوله الاربعة . كما انه احدث الكثير من المعالم الحضارية لتغيير هذا المناخ بتزيين مدنه بالاشجار والمساحات الخضراء واختيار مواقعها على ضفاف الانهار وروافدها وتسيجها بالاسوار ذات الابراج العالية والمنظمة تنظيما هندسيا[١٠١] . ومن الشروط المهمة في اختيار مواقع المدن هو اعتدال المكان وجودة الهواء وهو ما يؤكد على اهمية المناخ والاعتبارات الصحية في اختيار المسلمين لموقع مدنهم , ولما كانت المدينة مظهرا من مظاهر التفاعل بين الانسان وبيئته الطبيعية , وكان المناخ عنصرا من عناصر هذه البيئة , فان ادراك المسلمين أهميته في اختيار مواقع مدنهم يعكس مستوى حضاري متميز[١٠٢] .

ومن ناحية اخرى فقد فرضت طبيعة المناخ السائد في المدن العربية نمطا معينا من الاسواق , غالبا ما تكون مسقفة للوقاية من الأمطار وأشعة الشمس والرياح الشديدة , وتوفير الضياء الكافي بأقل حرارة ممكنة وضمان حركة الهواء داخل هذه الاسواق وتوفير حرية الحركة للمشاة ولوسائط النقل المستعملة فيها[١٠٣] . ان ثمة حقيقة مهمة تحكم تطور معظم المدن العربية الاسلامية في العراق , فهي في الغالب تقع حيث تتم علاقة تاريخية جغرافية بين موضع حيوي بكافة نشاطاته من خصوبة التربة ومناخ ملائم يوفر الماء والغذاء , من جهة وبين عنصر مهم المتمثل بالتجارة . وكان هذان الامران قد تلازما منذ فجر التاريخ وظلت الزراعة التجارة وراء التراث الانساني لهذه البلاد[١٠٤] .

اما الظروف المناخية فقد كان لها اثرها على تطور العمارة الاسلامية , اذ ان الاقاليم الاسلامية كانت ولا تزال تتشابه الى حد كبير في اعتدال جوها شتاء وميله الى الحرارة العالية في الصيف . فيما عدا الشام وآسيا الصغرى والاندلس , اذ تزيد فيها البروده وتكثر الامطار في فصل الشتاء , مما تطلب عمل معظم الاسطح العليا مائلة على

هيئة جمالونات , وقد ساعد عملها من الخشب وفرة الاشجار في مناطق واسعة من تلك البلاد[١٠٥] .

اما التكوينات الجيلوجية فلقد كان لها اثر كبير في انتاج عناصر ووحدات معمارية وأساليب إنشائية خاصة ببعض البلدان الاسلامية ,فقد اختص العراق بتوفير مادة الطمى وقلة الصخور والاحجار في الجزء الاوسط والجنوبي منه الا ما ندر (شكل ٥) , في حين اشتهرت المناطق الشمالية بوفرة الحجارة الصالحة للبناء . ومن هنا يمكن القول بان مادة البناء الرئيسة في اكثر مناطق العراق كانت اما قوالب اللبن اي الطوب غير المشوي او الطوب المحروق (الطابوق) وكان يستعمل للجدران والاسقف على هيئة اقبية وقباب لقلة الاخشاب التي يمكن استعمالها في البناء[١٠٦] . ومن الملاحظ ان معظم مدن العراق وخاصة في المناطق الوسطى والجنوبيه منه كان مشيدا بمواد اقل جوده وأردئ حالا من مدينة الموصل . فكانت مدينة السماوة مثلا مبنية باللبن ومثلها مدينة الديوانية , بل ان عامة دور البصرة كانت مبنية بالبن وجذوع النخل[١٠٧]

ان غالبية المنازل في العراق القديم كانت تبنى من اللبن على الرغم من معرفة الانسان صناعة الطابوق وذلك لسهولة عمله وانخفاض سعره قياسا الى الطابوق , ولكونه احسن مادة عازلة للحرارة والبرودة وتصميم البناء به لا يدل على نظام هندسي رتيب , فكانت الغرف يتصل بعضها ببعض بحسب ما تسمح به قطعة الارض وشكلها[١٠٨] .

وفي فترة لاحقة من تاريخ العراق في العصر الإسلامي يبدو ان وفرة المواد الأولية لصناعة الآجر في المناطق الوسطى والجنوبية من العراق , وصعوبة الحصول على مواد أخرى مثل الحجر الجيري والمرمر . جعل الاعتماد عليه في البناء والزخرفة امرا لابد منه , ومما ساعد على ذلك ايضا الخصائص العديدة لمادة الآجر نفسها , فالآجر يمتاز بإمكان استعماله وفقا لمتطلبات البناء , وسهولة تهذيبه ونحته وتركيبه في عمل الزخارف المختلفة[١٠٩].

اما في البلدان الاسلامية الاخرى فهناك بعض العوامل كان لها اثرها في تصميم العمائر الاسلامية , فمناخ الاقليم المصري مثلا امتاز بحرارته المعتدلة في الصيف , مما ادى هذا الامر الى ان يتم صرف النظر في جعل سقوف المنشئات العمارية مائلة فبدت افقية مستوية , كذلك روعي ايجاد مساحات مضللة لتلطيف درجة الحرارة , ونظرا لشدة الضوء فقد جعلت الفتحات ضيقة نسبيا قياسا لمساحة الجدران الخارجية , وعرف الملقف الهوائي في مصر الاسلامية كوسيلة لتكييف هواء الغرف الداخلية فيدخل الهواء من فتحات للتهوية ويستقبل النسيم من الجهة البحرية . كما روعي وضع الغرف حول فناء مكشوف تتوسطه نافورة للمياه لترطيب الجو[١١٠] .

وبينما تفتقر منطقة الشام الى الطمى لعمل اللبن غير المشوي والطابوق , فانها كانت وما تزال غنية بالحجر والرخام الجيد لذلك فان البنائين في تلك المنطقة قد برعوا في قطعه ونحته وبنائه[١١١] . اما بلاد فارس فنلاحظ ان بعض مناطقها كان يتوفر فيه الطمى , وبعضها يتوفر فيه الحجر والبعض يتوفر فيه الاثنان , وكذلك كانت بعض المناطق يتوفر فيها الخشب الذي يقطع من اشجار الغابات , فكان يستخدم في البناء في تلك المناطق[١١٢] . وتوجد مادتا الحجر والطمى في الاندلس وفي بعض بقاع العالم الغربي كما يتوفر بعض الصلصال الجيد الذي يصنع منه القرميد اي الالواح وانصاف القنوات الفخارية , التي تكسى بها الاسطح العليا للجملونات ونرى امثلة كثيرة منها في شمال افريقيا والاندلس[١١٣] .

ان من الصعوبة تحقيق كتلة بنائية معينة تخدم الظروف المزدوجة فالصيف شديد الاختلاف عن الشتاء وهذا تطلب تحقيق عنصر مشترك يؤمن تحقيق اكبر قدر ممكن من الفائدة في المبنى الواحد . لذلك عمد المعمار العراقي على توفير عنصر الفناء الوسطي المكشوف الذي وفر بكل حرية مجالا لتحقيق الوحدات المستخدمة صيفا او شتاء فجاءت الوحدات المطلة على الفناء من جهة الجنوب لتحقق الانتفاع صيفا , اما الوحدات المطلة عليه من الشمال فكانت تخدم الظروف الشتوية في العراق[١١٤] .

لقد ساعد مناخ الدولة الاسلامية الحار على ضرورة عمل مساحات مكشوفة واسعة في كل من البنية الدينية والمدنية على السواء لحماية الاماكن المسقوفة فيها من حرارة الشمس ونورها الساطع الوهاج من ناحية والمحافظة على الاتصال المباشر مع الهواء الطلق , والسماء الزرقاء بما ترمز اليه من قدرة وما تفئ به على الناس من رحمات , ومن ناحية فقام الصحن من هذا المنطلق لعدة ادوات اهمها التخفيف من حدة الضوء الواصل الى الاروقة من نسبة الغبار المتصاعد من الطرقات المحيطة بالمبنى والمحافظة على الدفء شتاء والرطوبة صيفا[١١٥] ((كان لارتفاع المباني على جانبي الشارع اثره في نسبة ظل معقولة لهذه الشوارع , فقد كانت نسبة ارتفاع المباني الى عرض الشارع ١:٢ واحيانا ١:٣او ١:٤ وقد زاد من هذه النسبة الرواشن والاجنحة التي كانت تبرز الى عرض الشارع في الطوابق العليا من المباني))[١١٦] .

اثر البيئة على العمارة ـ الصحن المكشوف انموذجا

لقد ظهرت العديد من العناصر المعمارية العراقية القديمة في العمارة العربية الاسلامية كان من ابرزها الفناء المكشوف او الساحات الوسطية واسوار المدن والتحصينات الدفاعية والبوابات الضخمة والعقود[١١٧] وغيرها[١١٨] , ويوجد من الادلة على تنوع عناصر العمارة الاسلامية ما يضيق المجال لسردها والتي لها الاثر الكبير في مجال الاستفادة منها في الاثر البيئي في عملية التخطيط العماري . ونكتفي من تلك الادلة بذكر احد الامثلة على ذلك , وهو الصحن المكشوف الذي يعد نواة تصميم مساقط جميع العمائر على اختلاف انواعها . والصحن في المصطلح الاثري العماري في العمارة الدينية مثل المسجد والمدرسة والتكية ونحوها هو مساحة مكشوفة او مغطاة تتصل بها من الناحية الجنوبية برواق القبلة ومن النواحي الثلاثة الباقية بالأروقة الثلاثة الاخرى , اما في العمارة المدنية فكان الصحن نواة الخان والقصر والدار وغيرها اليه يفضى الباب الخارجي وعليه تنفتح العقود والشبابيك وفيه تعمل الفوارات وتزرع الاشجار وحوله تتوزع المرافق المختلفة[١١٩] .

ان البيت ذو الساحة الوسطية المفتوحة يبقى بيتا عراقيا معروفا منذ الالف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن , كما ان استخدام العقادة والتقنية في التسقيف تبقى هي الاخرى ميزة معمارية عراقية قديمة . اما نظام الاواوين فقد انتقل الى العمارة الاسلامية ولاقى رواجا في العصر العباسي . بينما نرى ان التحصينات العسكرية في المدن الاسلامية لم تخرج عن الاسلوب الذي عرفته مدن اشور وبابل والحضر[١٢٠] . لقد كانت اولى المباني المنجزة مع الصحن المكشوف هي ما وجد في قرية حسونة في شمال العراق قرب مدينة الموصل والتي يرجع تاريخها الى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد , ورغم الاختلاف البسيط في تخطيط منازلها لكنه في جوهره بقى بدون تغيير وحتى الوقت الحاضر ما دام هذا التخطيط يلبي مطالب المناخ والحياة الاجتماعية في بلاد الرافدين[١٢١] , ومما يلاحظ ان التصميم الاساسي للبيت في مدن العراق المختلفة لم ينله التغيير خلال العهود المتعاقبة بل ظل محافظا على سماته الاصلية[١٢٢] .

وتتميز الدور العراقية بوجه عام بخصائص انشائية وتخطيطية ذات طابع واحد يتمثل في توزيع المسقفات السكنية حول الفناء الوسطي المكشوف , وتتالف المسقفات من طابقين في كل منها صف من الغرف التي تطل على الباحة المذكورة , وفي وسط هذه الباحة حديقة مظللة بالاشجار . وتوجد تحت حجرات الطابق الارضي السرداب والذي يستخدم صيفا للوقاية من الحر في حين تستخدم سطوح الدور للنوم عليها ليلا[١٢٣] . تتألف البيوت العراقية في الغالب من طابقين , وهذا ما يجعلها شديدة الانسجام مع الظروف المناخية حيث تكون جميع سطوحها على ارتفاع واحد , كما يحمي هذا الارتفاع الدروب والحارات من التيارات الهوائية ويجعل الفارق الحراري فيها قليلا[١٢٤] , اما الطوابق العليا فكانت تشمل على مجموعة من الشبابيك ذات سعة مناسبة تحتوي على فتحات ضيقة مغطاة بطبقة من الخشب المشبك لحمايتها من الشمس وللحصول على الستر الازم[١٢٥]. وباستخدام عنصر الشناشيل فقد استطاع المعمار العربي في هذه المعالجة الذكية ان يزيد من مساحة البيت في الطابق الثاني , ومضيفا عنصرا جماليا ميز المدينة العربية بوجود هذا النظام المزخرف والذي أراد منه

توفير الاستقلالية المطلوبة لنساء البيت[١٢٦]) . وتشتمل بيوت الميسورين على اكثر من فناء واحد يتوسط بعضها حديقة صغيرة ونافورة تضفي على ساكني البيت نوع من البهجة والسرور اضافة الى تلطيف جو البيت[١٢٧] .

لقد ادخل العرب قدسية السماء الى بيوتهم بنفس الوقت الذي منعوا دخول تاثيرات الصحراء التي تكون مصدرا للرياح المتربة , وذلك عن طريق ادخال عنصر الفناء المكشوف الى بيوتهم حيث يمتاز الفناء بالمعالجات الفعلية لظروف المناخ بتلطيف درجات الحرارة في الصيف بفعل التيارات الهوائية المتحركة وقلة الضغط الحراري[١٢٨] . وان تلاصق الدور وارتفاع جدرانها يوحي بان هناك فكرة أساسية حرص عليها المعمار في هندسة الدور السكنية تتمثل بعدم تمكين اي فرد من رؤية شيء من الداخل[١٢٩] , وتعتبر الجدران إحدى العناصر الرئيسة في إنشاء البيوت والمباني على اختلاف أنواعها بغض النظر عن المادة البنائية التي تشيد بها وهذه الجدران ظهرت فعلا مع ظهور البيوت الاولى التي شيدها الانسان[١٣٠] .

ومن المظاهر العمرانية التي اتسمت بها مدن العراق وجود فسحات مكشوفة داخل اسوار المدن ذاتها وهي تمثل مجالا رحبا لمختلف النشاطات الاجتماعية فكانت تباع فيها انواع السلع حتى عدت اسواقا بذاتها مثل سوق ملابس الموسلين وسوق الحنطة ببغداد[١٣١] , ويعد الصحن في الابنية المساجدية مساحة اضافية لاستخدامها من قبل المصلين عند كثرتهم في الصلوات الجامعة , وبالنسبة للابنية المدنية عازلا عن ضوضاء الشارع وفضول المارين فيه تأمينا لحرمة اهلها وقد يطلق على هذا الصحن احيانا كلمة باحة للدلالة على مساحة غير مسقوفة في حرم بناء ديني او مدني , وقد تطلق عليه أحيانا أخرى كلمة ساحة للدلالة على ذات المعنى[١٣٢] . ومما هو جدير بالذكر ان يظل الفناء يستخدم في بعض الدور الخاصة في اسبانيا في العصر الحاضر وهو لا يزال يؤدي الكثير من أغراضه العمارية والبيئية اضافة الى ما يشيعه من البهجة اذ يزود في الغالب بشجيرات وزهور وحوض ماء او نافورة[١٣٣] .

المبحث الرابع

اثر العامل الديني في تكوين مدينة كربلاء وتاريخها

يعنى المختصون بدراسة المدن الاسلامية بتصنيف المدن ودراستها وفق اسس ومعايير متعددة لغرض الاستفادة من ذلك في فهم طبيعة المدن وانواعها وكيفية توزيعها . وهناك انواع من التصانيف التي تتباين بحسب المعايير والأسس ومن اهمها : التصنيف المكاني الذي يشمل مدن الجبال , مدن السواحل , مدن الانهار ومدن السهول , والتصنيف التاريخي والذي تتدرج فيه المدن العربية الاسلامية ويتخذ هذا التصنيف الأصول التاريخية للمدن أساسا في التصنيف , ويستند هذا الأساس على تخطيط المدن ومورفولجيتها ونمط البناء ونوعه ومدى سعته , وهذا يتباين باختلاف الفترة التاريخية التي وجدت بها المدن[١٣٤] , وعليه يمكن ان ندرك اصناف رئيسية وهي تتمثل بمدن ما قبل التاريخ والمدن التاريخية والمدن اليونانية والرومانية والمدن الاسلامية

لقد كانت الرؤية الاسلامية في تخطيط المدن مراعية لجوانب التخطيط المختلفة , سواء أكانت هذه الجوانب عمرانية او اقتصادية او اجتماعية ام دينية . وهذا الامر لم ياتي عن طريق الصدفة او انه جاء متاخرا بل ان لهذا الامر جذور طويلة موغلة في القدم .

لعب العامل الديني دورا مهما في نشوء المدن العربية الاسلامية اذ من خلال الامثلة العديدة للمدن التي كان للوظيفة الدينية الدور الرئيس في نشوئها واستمرارها . وما مدن مكة المكرمة والمدينة المنورة والنجف الاشرف وكربلاء المقدسة الا امثلة تجسد العامل الديني . وانعكس اثر استعمالات الارض الدينية فيها على طرز العمارة وتوزيع استعمالات الارض وانظمة الشوارع[١٣٥] .

إن تخطيط المراقد في العراق القديم ارتبط منذ البدء بعاملين أساسين كان لهما أعظم الأثر في تصميم مخططاتها أولهما المعتقدات الدينية وثانيهما الإمكانات البيئية[١٣٦] , فمن مدينة اور السومرية الدينية الطابع , التي يرجع تاريخها الى الالف الثالث قبل

الميلاد وردنا تخطيط الاحياء السكنية فيها وهي تعطينا فكرة واضحة عن كيفية تطور هذه المدينة اذ لايظهر فيها اي نظام للتخطيط فالشوارع ضيقة غير مرصوفة , كثيرة التعاريج مغلقة في بعض الاحيان , وهي بذلك تشبه الى حد كبير الشوارع والحارات التي تخترق اسواق ومدن الشرق التي مازال بعضها قائما اليوم(١٣٧) .

ومن جهة أخرى فأن للمعتقد الديني اثراً كبيراً في نشأت العمارة فهناك صلة قوية بين العمارة والدين حيث تركت اثرا وضحاً يتجلى في عمارة المعابد والزقورات والمدافن ، ولهذا فان المعمار أدرك عن يقين ما لأثر ممارسات الطقوس والعبادات في أي مبنى ديني وما يستوجب من قاعات وحجرات وممرات وساحات لأداء تلك الوظائف ونراها واضحة في نتائج تنقيبات بعض المدن العراقية القديمة في أور واريدو والوركاء ونفر ومواقع ديالى(١٣٨) .

ومما يجدر ملاحظته في هذا الامر انه بعد مجيء الدين الاسلامي استمرت بعض المدن الدينية في مكانتها لدى الاقوام العربية مع تغير جذري في اساليب اجراء العبادات والطقوس ومن اشهر هذه المدن مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والتي أنشئت لتكون مقرا لرسالة السماء وهي بذلك قد اكتسبت الخلود وكان امر وجودها لم يراعى فيه المتطلبات ذات الأوجه المختلفة من بيئية واقتصادية وموقع طبيعي محصن وما الى ذلك من امور . وينطبق الحال مع مدينة القدس الشريف مع بعض الاختلاف اذ انه بالرغم من كون المدينة قد اكتسبت موقعا مهما على طول تاريخها القديم الممتد الى الألف الثالث قبل الميلاد , الا ان المدينة لم تكسب من الشهرة ما اكتسبته الا بعد ان أصبحت قبلة المسلمين الأولى قبل ان تتحول الى مكة المكرمة في السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة , كما انها اكتسبت أيضا تلك الأهمية كونها المكان الذي عرج منه الرسول العظيم الى السماء , وبعد كل ذلك فان هذه المدينة أصبحت دينية مقدسة على مر العصور الاسلامية والى يومنا هذا .

ويلعب العامل الديني دورا مباشرا مرة في مدن مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة وكربلاء المقدسة والنجف الاشرف , اذ يظهر الدور المباشر حيث تدور النشاطات

المختلفة حول المنشآت الدينية التي تمثل المحور الوظيفي والتخطيطي والعماري في المدينة , ومرة اخرى دورا غير المباشر في اقامة العديد من مدن الخانات التي اكتسبت وظيفة تقديم الخدمة لقاصدي هذه المدن , فقد اقيمت الخانات لراحتهم , وان ازدوجت معها الوظيفة التجارية اذ قد يستفيد من مثل هذه المحطات التجار ايضا في رحلاتهم الطويلة[١٣٩]. وتظهر هذه المدن على طرق النقل الرئيسة المتجهة نحو المدن الدينية وابرز ما يمثل ذلك المدن التي تقع على طريق العتبات المقدسة ومنها مدينة المسيب والاسكندرية والمحمودية وغيرها اذ ان اساس وجودها كان عبارة عن خان ثم تطور الامر الى ما وصل اليه اليوم .

ان كثيرا من المواضع الدينية التي تشتهر تربتها باحتضان احد الائمة او الصالحين قد تحولت الى مدن واسعة بالرغم من عدم توفر كل الشروط الازمة للاستقرار وكان من ابرزها الموقع المحصن كوجود الموانع الطبيعية او الاستراتيجي مثل وقوعها على خط التجارة وما شاكل ذلك ولا ادل على ذلك من مدينة كربلاء التي كانت في اول عهدها بعد واقعة الطف بعيده نوعا ما عن المراكز الحضرية المشهورة في العراق مثل مدينة الكوفة والبصرة والموصل . وبالرغم من عدم توفر شروط اقامة المدينة الا ان هناك شروطا اخرى كثيرة تمتعت بها هذه المنطقة كان من ابرزها وجود القرى من حولها ومجموعة من المستوطنات السكانية البسيطة والتي كونت نواتها فيما بعد , بالاضافة الى ذلك قدرة ارضها على انشاء المشيدات العمارية الضخمة مثل كنيسة الاقصير وقصر الاخيضر ومنارة موجده والخانات المتعددة , كما ان احد اهم الاسباب في ذلك ايضا هو صلاحية تربتها للزراعة .

ويمكن ان نستدرك هنا بان مناطق العرب قد عرفت قبل الاسلام باشتهارها بالعديد من المدن , اذ كان العرب على علم ومعرفة بتخطيط المدن واقامتها وفق ظروف حياتهم وحسب احوال معيشتهم التي اعتادوا عليها , وبعد ظهور الاسلام اصبح للدين الجديد تاثير كبير على تطور المدينة العربية والنهوض بها لاسيما مكة والمدينة[١٤٠] , والتي اصبحت فيما بعد الاساس الذي قامت على منواله مدن الامصار مثل البصرة

والكوفة . وكما هو معروف فأن هناك نوعين رئيسين من المدن ظهرا بعد الفتوحات العربية الإسلامية في العصر الراشدي ، وما تلاه ، أولها المدن الممصرة مثل الكوفة والبصرة والتي نشأت بعد أن استقرت بها المقاتلة العرب . أما النوع الأخر فهي الحواضر القديمة التي فتحتها جيوش المسلمين منها مدينة الموصل ودمشق ، ومع ذلك بقي المجال مفتوحاً لظهور أنواع أخرى من المدن منها ما يمكن أن نطلق عليه اسم (مدن المراقد)التي نشأت ليس لسبب ما سوى كونها ذات مكانة مقدسة لدى جمهور من الناس حيث لعب العامل الديني هنا دوراً بارزاً في ذلك . وقد يغلب أحيانا اسم صاحب المرقد علىً اسم المدينة فيقال مدينة الامام الحسين عليه السلام ومدينة الكاظمية نسبة الى الامام الكاظم عليه السلام أو مدينة الاعظمية نسبة الى الامام الاعظم ابي حنيفة . وهذا الصنف من المدن لم يولد نتيجة لمتطلبات عسكرية أو للتطوير الاقتصادي . ((إن الحياة في بلاد الرافدين اعتادت إن تنمو حيث تزرع قبور الشهداء وهكذا بدأت كربلاء تتدرج في النمو والازدهار حتى أضحت مدينة تنبض بالحياة بمختلف مجالاتها)) [١٤١] .

لقد كانت المدينة العربية الاسلامية تمثل انعكاسا طبيعيا للحياة الجديدة والظروف الاجتماعية والسياسية والمبادئ والقيم الروحية التي جاء بها الدين الاسلامي , ولهذا كان للمدينة العربية الاسلامية طابع مميز في شكلها الخارجي وتركيبها الداخلي , ولعل اهم صفاتها وجود الصلات الوثيقة بين تكوينها الطبيعي والحضاري والروحي والاجتماعي والمناخي[١٤٢] .

قامت المدينة الاسلامية في بداية نشوءها وفق نظام معوم وهو بناء المسجد اولا والاعلام عن شبكة الشوارع وتوزيع الخطط على القبائل العربية المختلفة في المدينة المنورة ومن ثم تطور الامر حتى اصبح المسجد المنشأ في اي مدينة مقرونا بدار الامارة الملاصق له ومن ثم اتخاذ الإجراءات السابقة . وان غالبية الموروثات العمارية ابنية عامة لوظائف دينية وادارية وتجارية مثل الجامع والسوق والقصور وكلها ذات موضع مركزي

ان من ابرز الخصائص التي تميزت بها مدن العمارة المرقدية او ما يمكن ان يطلق عليها المدن الضريحية[١٤٣] , وجود مرقد او اكثر يتوسطها , وتمتاز ابرز ما تمتاز به الكثافة السكانية العالية وتوافر اعداد كبيرة من الاسواق المتصلة مع بعضها في اغلب الاحيان والتي تؤدي الى مداخل المرقد كما في اسواق مدينة كربلاء . ومن الصفات الاخرى البارزة في هذه المدن هو وفرة الخيرات الزراعية وكذلك الانتاج الصناعي لتوفير الاجواء المناسبة لاعداد الوافدين الى المدينة , ويمكن اعتبار توفر الحمامات والخانات من المستلزمات الواجب توفرها ايضا .ى ولدينا في تراثنا المعماري في مدينة كربلاء من الشواهد التي تبين كيف استطاع المعمار المسلم تجسيد التعاليم الاسلامية والنظم الاجتماعية وخاصة الابنية التي خصصت لاعمال البر والخير وكذلك الابنية الخدمية لتلبية حاجات الجوانب الانسانية لاعداد الزوار القادمين او لاهل المدينة المقدسة مثل الاسبلة[١٤٤] والتكايا.

ويترجم اثر عامل نشوء المدن الى اقامة وحدة تخطيطية او عمارية كان تكون مسجدا او قصرا او سوقا , تلعب دور الوحدة او النواة المركزية[١٤٥] , وينطبق الحال هنا على المدن المرقدية اذ يعتبر المرقد نواة المدينه منه يبدا المد السكاني , ويكن في اول امره بسيطا نتيجة لقلة عدد المنشات العمارية لادارة هذا المستوطن او ذاك , ويعتمد التوسع بالدرجة الاساس على مكانة صاحب المرقد , فاذا كانت له مكانة مميزة في قلوب الناس نرى تفاعل الانسان مع بيئته من جهة واستقطاب اعداد كبيرة من المحبين للسكن قرب المرقد .

وهنا يمكن القول بان عناصر العمارة لا تقتصر على كونها محاولات لحل مسائل هندسية فنية , ولا تقتصر اساليب الفنون على كونها تجسيم لتعبيرات وايحاءات , وانما ترتبط هذه وتلك ارتباطا وثيقا باسباب الحياة واغراضها وظروفها المختلفة , دينية وسياسية واجتماعية وعلمية واقتصادية , وكل هذا يجعل عناصر العمارة وتعبيرات الفنون تخضع لحاجات الانسان تبعا لظروفه المادية[١٤٦] .

والمرقد من التكوينات العمارية الاساسية بالمدينة الاسلامية ذات الخصائص الدينية ويمثل المحور الرئيس من مجمل محاورها التخطيطية , وقد اقتضت وظائف المرقد الدينية والعلمية واحيانا السياسية ان يكون موضعه في وسط المدينة اذ تلتف حوله كافة مرافق المدينة . والضريح في العادة يبنى بتخطيط مربع داخلي يحيط به مثمن خارجي او العكس بالعكس او يبنى بتخطيط مربع او مثمن من الداخل والخارج . وكان بناءه اما بشكل مستقل كما هو الحال في العتبات المقدسة او يكون ملحقا بأحد الابنية الدينية كالمدارس والجوامع مثل ضريح الشيخ عمر السهروردي في بغداد الذي الحق بأحد الجوامع[١٤٧] . اما فناءات المراقد المقدسة فيطل عليها في اغلب الاحيان مرافق مهمة منها المكتبات وشواهد القبور وسراديب الدفن والميضأة والمخازن والغرف والاواوين لراحة الزوار[١٤٨]. لقد استغلت الفناءات الداخلية للمراقد المقدسة وفق ما سبق بشكل كبير وهي بذلك ابتعدت عن منافعها البيئية لتشمل المنافع الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية .

لقد ركز المعمار العراقي في زخرفة الاضرحة والمشاهد بمختلف الاساليب الزخرفية الاسلامية من خلال رصف الاجر واستخدام القراميد القاشانية والمرايا والذهب وتنوعت اشكال هذه التحليات اذ شملت وحدات هندسية ونباتية وكتابات قرآنية وتذكارية ذات خطوط جميلة[١٤٩] .

تاريخ مدينة كربلاء وواقعها الحضاري واثر التحصينات الدفاعية فيها

اولا : تاريخ المدينة

على الرغم من ان مدينة كربلاء قد مرت بتاريخ طويل يرجع الى العصر البابلي[١٥٠] , إلا انها لم تصل الى المرحلة الحضارية قبل استشهاد الامام الحسين واهل بيته الاطهار عليهم السلام على هذة الارض . ويمكن القول انه لم يرد ذكر كربلاء قبل الفتح الاسلامي بشكل يستحق الذكر فهي قرية صغيرة تشتهر بالزراعة وكان سكانها قد امتهنوا ذلك[١٥١] , الا ان حالها قد تغير بعد ان وردها الامام الحسين عليه السلام

ومنطقة كربلاء تنتمي إلى حضارة الأقوام القادمة من الجزيرة العربية مكونة من مجموعة قرى كانت تابعة إلى مدينة بابل[١٥٢] . ولم تكن المدينة في القرن الاول الهجري عامرة مع ما كان في نفس العلويين من شوق ولهفة في مجاورة قبر الإمام الحسين عليه السلام , فلم يتمكنوا من اتخاذ وإقامة العمران خوفا من الحكام الأمويين[١٥٣] .

وقد أخذت المدينة على مر تأريخها بالتوسع والازدهار وذلك لخصوبة تربتها وكثرة العيون فيها ، ولأنها كانت تتوسط مدينتين مهمتين هما مدينة الحيرة عاصمة دولة المناذرة وعين التمر البلدة العامرة ومن حولها قراها منها شفاثا التي عرفت ببلدة العين[١٥٤] ((ويبدو ان منطقة كربلاء لم تكن آهلة بالسكان كما كانت تفتقر إلى العمران الكبير , ومن المرجح ان هذه المنطقة الغنية بالمياه وبتربتها الخصبة , كانت تنتشر فيها القرى , وبعد العاشر من محرم سنة ٦١هـ ـ ٦٨٠م اي بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام اخذ الكثير من الناس يقيمون في هذه المنطقة))[١٥٥].

((واما كربلاء فتأخرت قليلا عن النجف . وقد هدم المتوكل قبر الحسين هناك سنة ٢٤٧ هـ وأعاده ابنه المنتصر فاخذ الشيعة يتوافدون عليه واتخذوا من حوله الدور والقصور والأسواق ولم يمضي قرن إلا كان من حوله مدينة صغيرة بآلاف الناس وتطورت تطورا عمرانيا كبيرا زمن البويهيين فاشترك الناس في الزيارات والمصليات بعد عداوات كانت تنشأ بينهم . وأعطى فخر الملك البويهي بالغ اهتمامه للمدينة التي زاد عمرانها فيما بعد في العصر الجلائري))[١٥٦] . وقد كانت مدينة كربلاء بقراها المتناثرة جزء من ارض السواد التي كانت تتمتع بمزايا اقتصادية جيدة وكانت الزراعة تشكل جانبا حيويا فيها , ذلك ادى الى جعلها منطقة مناسبة للاستقرار , وقد كانت مدينة كربلاء غنيه بالمياه وتتميز بتربتها الخصبة وتنتشر فيها القرى والقبائل التي استقرت فيها او قريبا منها[١٥٧].

ويبدو ان مدينة كربلاء قد أخذت بالتقدم في الفترات الأولى من الحكم العباسي , فاحذ الناس يتوافدون على زيارة القبر الشريف , كما اخذ بعضهم يستوطن تلك التربة

المقدسة أو يوصي بدفنه هناك[١٥٨]. ان بروز مدينة كربلاء قد ارتبط بوجود قبر الإمام الحسين عليه السلام في هذه المنطقة فاكسبها عامل جذب روحي ومعنوي قوي جدا . ومن البديهي ان العامي الروحي الذي تحقق بتوافد محبي آل البيت عليهم السلام من علويين وغيرهم الى المشاهد الشريفة كان أقوى من اي عامل آخر منها الموقع الجغرافي الحسن ووفرة المياه والكلأ ومنعتها الطبيعية . وبذلك فان مدينة كربلاء من مدن العراق المقدسة أوجدها عامل الدين بالعراق . ((اكتسبت مدينة كربلاء أهمية كبيرة لدى المسلمين بسبب وجود مرقد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ومرقد أخيه العباس عليه السلام وقبور أصحابه الذين استشهدوا معهم في واقعة الطف عام ٦١هـ/ ٦٨٠م))[١٥٩].

وقد ازداد عمران المدينة في القرن السابع والثامن الهجري ـ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين وبخاصة أيام الجلائريين فكانت مدينة صغيرة المساحة تحفها حدائق النخيل ويسقيها ماء الفرات وكان يحيط بمرقد الإمام الحسين عليه السلام مدرسة عظيمة وزاوية واسعة[١٦٠] .

وعلى العموم نجد ان أهمية كلا من الموضع والموقع واسعة جدا في ازدهار المدينة وتطورها , ويعود السبب في ذلك بان معظم المدن تبدأ بشكل شديد البساطة كما هو حال مدينة كربلاء فبدأت صغيرة ثم توسعت ثم خرجت عن حدود موضعها الأصلي الذي نشأ بالقرب من مرقد الإمام الحسين عليه السلام ومرقد أخيه العباس عليه السلام.

ثانيا : الحركة الاقتصادية والفكرية والخدمية في مدينة كربلاء

لقد تطورت الأبنية الدينية المرقدية ولم يعد هدفها فقط تخليد ذكرى أصحابها وإظهار مكانتهم الدينية والعلمية والاجتماعية والثقافية وغيرها وإنما أصبحت تلحق بها مدرسة او مكتبة او تعقد فيها مجالس الوعظ والإرشاد أو يلحق بها بناية لتعليم القرآن الكريم ودراسة علومه ودراسة الحديث النبوي الشريف[١٦١] , ومناقب أئمة أهل البيت عليهم السلام كما هو الحال في مرقد الإمام الحسين عليه السلام اذ انه مع إنشائه وبمرور الحقب الزمنية نلاحظ ان كل ما ذكر قد تم إنشائه وأصبح هذا المرقد بامتياز محور

الحركة الدينية والثقافية في المدينة كما انه استقطب أهل العلم والمعرفة والزهاد من مختلف البلاد الاسلامية .

ان المتأمل للجوانب الإنسانية في حضارة كربلاء الاسلامية المتمثلة في منشاتها المعمارية يجدها تلقي أضواء كثيرة على ما توافر فيها من تقدم أشكال متعددة من الخدمات الإنسانية فإذا درسنا تخطيط المدينة وكل مبنى من مبانيها ابتداء من المرقدين الشريفين والمحلات القديمة والأسواق والخانات وانتهاء بالأبنية التعليمية كالمدارس والأبنية الخدمية كالحمامات .

ان للعامل الاقتصادي دوره البارز في إقامة المدن الاسلامية اذ غالبا ما كان يراعي قي اختيار موقع المدينة ملائمة ظروفها للأنشطة الاقتصادية المختلفة كالزراعة والتجارة والصناعة وهذا ما لا يتوفر في المدن المرقدية , الا ان الامر يبدو مختلفا تماما عما بدأ أول الأمر فبعد استقرار السكان حول المرقد الشريف طهرت شبكة من الأسواق ذات التخصصات المتنوعة مع الحرص على جعل كل صنف من الصناع والبضائع على حده , ومن ابرز ما نلاحظه في ذلك كثرة الأسواق المسقفة في مدينة كربلاء لكي توفر الأجواء المناسبة لأصحاب المحلات والمتبضعين , كما ان التخصص في أصناف الأسواق يبدو واضحا من خلال الأسماء التي أطلقت عليها مثل سوق الصفارتين وسوق التجار وسوق العلاوي وغيرها .

لقد كان العامل التجاري في تأسيس المدن الاسلامية من العوامل الرئيسة التي أدت الى نشأت المدن . واعتبرت من المعاير التي تميزها , ومن هنا برزت أهمية اختيار موقع المدينة على الطرق الرئيسة , وتوسط هذا الموقع ليقرب من أطراف التبادل الأخرى , فينعكس بذلك على اقتصادها بشكل ايجابي[١٦٢] , ونلاحظ ان هذا الأمر قد يحدث بشكل معاكس في مواضع بعض المدن المختارة وخاصة المدن الدينية . فمدينة كربلاء نالت شهرة كبيرة بالرغم من ان أساس اختيارها لم يكن لأهداف تجارية الا ان قدوم الزائرين من مختلف بقاع الأرض جعل المنطقة تزدهر بصناعات عديدة , كما ان الانتاج الزراعي قد ازدهر وتطور نتيجة لقوة العرض والطلب , وقد كان الزائرين للمراقد

المقدسة على علم مسبق بحاجة سكان المدينة لبعض من متطلبات العيش فكانوا يجلبون ما يتمكنون من حمله من بضائع وبذلك تتم عملية التبادل التجاري .

ان لأهمية مدينة كربلاء الدينية وكذلك خصوبة تربتها الصالحة للزراعة وبتالي كثرة محاصيلها كانت السبب بان نالت شهرة واسعة في العالم الإسلامي وبدأ توافد الزوار إليها للزيارة والسكن فأصبحت من أمهات المدن العراقية . وتعد الزراعة حاجة الإنسان الرئيسة التي يتوخاها من موقع المدينة الذي يقيم عليه مزارعه وبساتينه , وقد كانت القاعدة الزراعية العريضة التي تجود بها مواقع المدن دعامة أولى في نشأة وتطور المدن العربية الاسلامية في العراق , ويعني هذا وجود مصدر غذائي ثابت للمدينة مما يساعد على نموها وإدامتها[١٦٣] .

ويمكن إطلاق مصطلح (مرحلة النمو)[١٦٤]على المستوطنة التي تبدأ بمرحلة الاتساع نتيجة للزيادة الكبيرة في عدد السكان المهاجرين إليها الأمر الذي ينتج عنه زيادة مطردة في عدد الأبنية العمارية وتوفير الأيدي العاملة المناسبة لانجاز مثل هذه المشاريع وخصوصا ما يتعلق بالمشاريع العامة منها إنشاء المدارس والمساجد وحفر الترع والجداول التي تتطلب جهدا مشتركا بين السكان مجتمعين سواء أكان من السكان الأصليين الذين كانوا قد تواجدوا قبل ان يصبح الموقع مدينة مرقدية او السكان المهاجرين المجاورين للمرقد.

لقد أصبحت للمدن الدينية كمدينة كربلاء والنجف الاشرف والكاظمية والاعظمية وغيرها من المدن الاسلامية حركة تجارية واسعة . نظرا لتقاطر الزوار على المراقد الموجودة فيها في مواسم كثيرة من السنة , ونتيجة ذلك نلاحظ تعدد الاسواق وتنوعها مما لا نجد لها مثيلا في المدن الأخرى كون إن اختلاف جنسيات القادمين تطلب توفير بضائع وسلع وصناعات تلبي حاجاتهم كما ان عمليات التبادل التجاري التي تتم بين سكان المدينة والقادمين اليها تكون واسعة بسبب كثرة الاعداد الوافدة .

ولأجل ان تؤدي المؤسسات الدينية والعلمية مهمتها كان لابد من توفير المستلزمات الضرورية لها , ومن هذا جاء الاهتمام بالمكتبات وخزائن الكتب لكي يرجع اليها

الأساتذة والطلبة للتزود بالمعلومات العلمية بعد ان أدركوا قيمة المكتبات وفوائدها وشدة الاحتياج اليها لذلك اعتبرت الأساس الذي ترتكز عليها قواعد الثقافة وركنا تتوثق به دعائم الحضارة في المدينة العربية الاسلامية[١٦٥].وقد يقام عند هذه القبور تكية او رباط للزهاد من الصوفية ولايواء الفقراء والمساكين مثل تكية البكتاشية[١٦٦] .

كما ان من الأمور الواجب توفرها في مثل هذه المدن البيمارستانات او المستشفيات وهي من المنشئات التي شيدت لتوفير الخدمات العلاجية والطبية العامة , وواكب إنشاء البيمارستانات النمو العمراني للمدينة الاسلامية . الا ان مثل هذا االصرح الحضاري لم يرد له ذكرا ضمن عمارة مدينة كربلاء حسب ما وقع بين أيدينا من المصادر . والإسلام احرص ما يكون على سلامة افراد المجتمع الاسلامي وقوتهم وصحتهم ومن اجل هذه الغاية الإنسانية أنشئت البيمارستانات[١٦٧] , وقد بنيت في العصر العباسي لتأوي المرضى وتقدم لهم العلاج المجاني , وكان اول بيمارستان بني في بغداد هو الذي بناه الرشيد والذي تولى رئاسته الطبيب ماسويه وجعل الاشراف عليه لطبيب الخليفة الخاص جبرئيل بن بختيشوع وبقيت بغداد ليس فيها الا هذا البيمارستان حتى سنة ٢٥٩هـ / ٩٠٢م حين اسس بيمارستانا جديدا , وتوالى ظهور البيمارستانات بعد القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وفي نهاية القرن التالي وصل عدد البيمارستانات الى ستة ولم يكن لهذا العدد منها نظير في اي مدينة في العالم قبل القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي[١٦٨] . وبعد ذلك فيمكننا التأكيد هنا ان مدينة كربلاء لم تخل من وجود بيمارستان على الأقل نتيجة للزيادة الكبيرة في عدد سكانها وعدد الوافدين إليها , وقد تكون المصادر التاريخية قد أغفلت ذكر هذا الأمر أو أن ذلك سيتضح مستقبلا .

اما بالنسبة الى محطات الاستراحة فقد عرفت الدولة العربية الاسلامية نوعين رئيسين من الخانات أولهما خانات المدن التي تركزت بالقرب من منطقة الاسواق , وان مقدار هذا التركيز يعطي فرصة تقدير الدور الذي تؤديه التجارة في المدينة , وقد تعددت وظائف هذه الخانات فهي مركز للتجارة الداخلية والخارجية ومسكن للتجار

الغرباء ومخازن لبضائعهم وسلعهم[١٦٩] , وتكون عادة صغيرة الحجم نسبيا اذا ما قورنت بالنوع الثاني , وغالبا ما تكون مسقوفة وتحتوي على العديد من الحجر التي تطل على صحن مركزي واحد , وتستعمل مثل هذه الخانات كمركز تجاري بحكم قربها من السوق وتشكل غرفها اماكن استراحة بالنسبة للتجار الوافدين[١٧٠] . اما النوع الثاني فهي الخانات المقامة على طرق التجارة الخارجية وقد ازدادت اهميتها إبان الحكم العثماني للعراق وظهرت منها نماذج كثيرة تربط مدينة كربلاء بالمدن المجاورة كالحلة والنجف وبغداد ومنها الى المدن الاخرى مثل خان الربع وخان النص وخان اليوسفية وخان المحمودية وغيرها كثير .

لقد ازدادت اهمية مدينة كربلاء مع ازدياد عدد سكانها وتم ذلك بعد زيادة الكفاءة الوظيفية لاستعمالات الأرض المختلفة ليس لأجل خدمة سكانها فحسب بل من اجل خدمة الأعداد الكبيرة من الزوار الذين كانوا يمضون فترات طويلة أثناء أدائهم مراسيم الزيارة , ويعود ذلك إلا أن صعوبة وسائل النقل والفترة الطويلة التي تستغرقه الرحلة نحو مدينة كربلاء وخاصة إذا ما علمنا ان الكثير من الزوار القادمين الى المدينة هم من جنسيات مختلفة وأماكن بعيدة خارج الارض العراقية فهناك المحبين من الهند وايران وباكستان وحتى من الصين .

ومن المنشات المهمة التي ظهرت في مدينة كربلاء الاسبلة (جمع سبيل)وهي المنشات التي التزمت بتزويد مواطني مدينة كربلاء والزوار الكرام بالمياه الصالحة للشرب وهي بذلك تقوم بخدمة من اجل الخدمات الانسانية , اذ انه مما لاشك فيه ان الاسبلة قد وفرت نوعا هاما من الخدمة الانسانية , وهو توفير المياه الصالحة للشرب , وهي خدمة اثبتت اهميتها وفعاليتها في مجتمع لم يعرف الوسائل التقنية الحديثة , ويتجلى لنا اهمية هذا الامر خاصة في الزيارات المشهورة للإمام الحسين عليه السلام كزيارة النصف من شعبان وزيارة الاربعين وقد يتصادف مع هذه الزيارات فصل الصيف الشديد الحرارة مما يتطلب الامر الاستمرارية وبشكل كبير بايصال الامدادات المائية , وكان السقاءون هم الوسيلة لجلب المياه من الانهار والترع .

وامتازت مدينة كربلاء بتوفر ثروة مائية كبيرة فمن جهة كان يمر بها نهر الفرات ومن جهة اخرى توفرت فيها العديد من الابار ومثال ذلك كانت بئر شفية وهي من الابار التي حفرتها قبيلة بني اسد[١٧١] . وقد اهتم ميسوري الحال بالانفاق على اهم المشاريع الحيوية في المدينة الاسلامية وهي الاسبلة , كما تفنن المهندسون في عمارتها وتزينها بالواح الرخام المنقوش والقاشاني والقراميد الخزفية الملونة وبشبابيك النحاس , وسجلت على معظم هذه الاسبلة آيات قرآنية كريمة بخطوط بديعة وأبيات شعرية تؤرخ إنشاءها وتذكر اسم منشئها احيانا[١٧٢] . وكان جل اهتمام رجال مدينة كربلاء والسلطات الحاكمة هو توفير الماء وجلبه الى داخل المدينة والمستخدم لأغراض الري والشرب . يعتبر توفير مياه الشرب هو مطلب أساسي لأي إنسان على وجه الأرض , ولهذا كانت مسالة نقل المياه وتوزيعها في أغراض السقاية من منبعها البعيد او القريب الشغل الشاغل للمدن الاسلامية . وعلى ذلك فقد نشأت الحضارة في مدينة كربلاء على هذا الأساس ، ومن أشهر انهار المدينة هو نهر العلقمي الذي سمي بهذا الاسم لأنه كان شديد الحلاوة ، وقد وصفوه بالعلقم المر مبالغة , كما يقول قائلهم أكلت التمر حتى صار مراً في فمي ، فالتمر لا يكون مراً أبدا ، وكما سمي النسيم عليلاً إشارة إلا انه جاوز في الصحة حده ، وقد نسب العرب الشيء باسم ضده لمجاوزة حده[١٧٣] .

اثر التحصينات الدفاعية في نشوء المدينة

عند التفكير او الشروع ببناء اية عاصمة او مدينة كان على من كلف بهذا العمل من مهندسين ومعماريين ان يضعوا نصب اعينهم عدة امور قبل المباشرة في التنفيذ وفي المقام الاول منها واهمها حصانة الموقع لتكون بمنأى عن الاخطار الخارجية التي قد تهددها ثم التفكير بتخطيطها وما يمكن ان يبنى من تحصينات تحميها من العدو وتمنعه من دخولها[١٧٤] . وعلى ما يبدو ان الحال يختلف تماما عما هم عليه في مدن المراقد المقدسة ومنها مدينة كربلاء اذ ان نشوءها وتخطيطها ونموها فيما بعد هي امور لم يكن قد خطط لها من قبل , ويعود السبب في ذلك الى ان امر بناء المدينة قد اصبح واقع حال بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام واهل بيته الاطهار دون

النظر او التفكير بمناعتها الطبيعية او ظروفها المناخية والجيولوجية . وخلاصة ما يمكن ان يقال هنا الى ان ازدهار مدينة المرقد لا تعتمد بالدرجة الاساس الى توفر الظروف المناسبة للعيش والسكن بقدر ما تعتمد على مكانة صاحب المرقد في نفوس المسلمين .

لقد مارس الدين الاسلامي تاثيرا مباشرا على طبيعة وحياة وثقافة المجتمع , فقد سيطر الاسلام على كل اوجه الحياة وصار ينظر الى المدينة في العالم الاسلامي على انها مدينة مسلمة لان الاسلام من اكثر الاديان المشجعة على اقامة المدن[١٧٥] , والمعتقدات الدينية والتقاليد الاجتماعية الاسلامية قد بقيت سليمة مزدهره في اعماق نفوس الغالبية من العرب المسلمين , هي التي كان لها الفضل في خلق وتطوير العمارة العربية الاسلامية الخالصة[١٧٦]. ان من ابرز العوامل التي ينشدها مؤسسو المدن الاسلامية هو توفر العامل الدفاعي (العسكري) فكان يتم اختيار المواضع والمواقع ذات الامكانات الدفاعية كان تكون على قمة جبل او على سفح محمي او على ضفة نهر بموقع معين[١٧٧]. ان كل هذه الامور كان لا يأخذ بها في نظر الاعتبار عند انشاء المدينة الدينية المرقدية كون ان اساس وجودها هو يمثل موقع المرقد وهو الذي يحدد اساس الشروع ببناء المدينة , وبعد استقرار الاحوال وازدهار المدينة وتطورها تبدا عملية المباشرة ببناء الاسوار والتحصينات الدفاعية المختلفة لاغراض الحماية .

ويعكس التخطيط المادي للمدينة الاسلامية المحاور المختلفة التي قام عليها تخطيط المدينة وجوانبه المختلفة . ويبدأ التخطيط باختيار موقع المدينة وعلاقته بما يحيط به . وقد اثر في اختيار مواقع المدن الاسلامية عوامل مختلفة اختلفت طبيعتها من مدينة الى اخرى ولا سيما تلك العوامل المرتبطة بالنواحي الحربية والسياسية واتفقت في توافر شروط اساسية وجب توافرها بصفة عامة في اختيار اي موقع[١٧٨] , وربما ان في هذا الموضوع بعض الاستثناءات وبالخصوص ما يتعلق بمدن الامصار ومدن المرفأ والاشهر من ذلك المدن الدينية , والتي تم في إنشائها التجاوز عن الكثير من الشروط الواجب توفرها في اختيار مواقع المدن . فلم تكن الاسوار حاجة ملحة في انشاء المدن

الدينية لاسيما ان دواعي الامن والامان كانت متوفرة في القرن الاول والثاني الهجريين الا ان الموانع السياسية كانت وراء عدم ازدهار بعض المدن الدينية في العراق . وخلال العصور المتأخرة اتسمت المدينة العراقية بكثرة تحصيناتها وأسوارها خصوصا خلال الفترة العثمانية , وبسبب الصراع العثماني ضد الفرس من صفوي وافشاريين وقاجاريين حتى تحول العراق الى ميدان صراع بين العثمانيين والفرس وحين اذ برزت الوظيفة العسكرية التي كانت عليها المدينة العراقية[١٧٩]. لقد تأثرت مخططات المدن الدينية بالوظيفة الدفاعية بشكل كبير اذ انها قيدت عملية التوسع الأفقي فإذا أخذنا بنظر الاعتبار تخطيط مدينة كربلاء القديمة كما تظهرها الصور الجوية نلاحظ ان المدينة تدور حول نقطة مركزية واحدة والتي تمثل الضريحين المباركين للإمام الحسين وأخيه العباس عليه السلام وهذا النموذج يخالف بذلك نماذج المدن الاخرى التي يحدد حركة نموها توفر الاراضي الزراعية الصالحة وكذلك توفر المياه المناسبة للاغراض المعيشية وتكون في هذه الحالة ذات حرية اوسع في الحركة العمرانية ونظام تخطيط الشوارع . ومن جهة اخرى فقد اثرت التحصينات الدفاعية التي تحيط بمدن المراقد بشكل كبير جدا , وبما ان المدينة في الغالب تاخذ الشكل الدائري لذا فقد تحددت مسارات الشوارع نسبة الى هذا الشكل , كما تبين بعض الصور الجوية لمدينة كربلاء , وينفرد شكل الشوارع في المدن الاسلامية بعض الشوارع المستقيمة وخاصة ما واجه منها الجهة القبلية للمراقد .

لقد نظمت الأسواق في المدن العراقية بشكل حلقات متتابعة وفقا لأهميتها الاجتماعية والتجارية اذ ان اكثر المحلات اهمية غالبا ما تكون مجاورة للجامع الرئيس في مركز المدينة وعلى هذا الأساس فان المحلات المتخصصة ببيع التوابل والقهوة والملابس الثمينة والصناعات الجلدية الغالية والعطور , اما السلع الاستهلاكية والكماليات ذات التقييم الواطئ فكانت توجد في الأزقة الخلفية لمواضع السلع الاولى[١٨٠] .

تتنوع العوامل التي تؤثر في تخطيط الشوارع من مدينة الى اخرى , وترتبط الطرق والشوارع في المدينة الاسلامية ارتباطا وثيقا وعضويا بمنشاتها المختلفة , ومن ثم تبرز العلاقة القوية بين الشوارع وهذه المنشات , وهي علاقة توضح مدى تأثر كل منها بالأخر[١٨١] , ومن أشهر الأمثلة على ذلك ما نلاحظه في مدن المراقد المقدسة ومنها مدينة كربلاء[١٨٢] .

ويطالعنا نموذج تخطيط شوارع مدينة كربلاء والتي تكون في الأساس قد أخذت الفكرة التي أرساها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بناء مدينته ((ولما كان المسجد النبوي المركز الحضري الذي أنشأه رسول الله في المدينة , فمن المؤكد ان الطرق كانت شارعه منه واليه))[١٨٣] , لذا يمكن القول ان هذا الأمر قد طبق في تخطيط وعمارة مدينة كربلاء بعد إنشاء المرقدين الطاهرين , فأصبحت شوارع المدينة بمجملها شارعه إليه . ان مخططات الشوارع في المدن الاسلامية كانت مصممة لوظائف تختلف عما هي عليه الآن , فكان يحدد أبعادها مقياس حركة وسائل النقل المعروفة في ذلك الوقت المتمثلة بالعربات التي تجرها الخيول كحد أقصى[١٨٤], وان طراز العمارة العراقية المعتمد في تخطيط الشوارع الفرعية في المدينة العربية لم يكن مضطرا الى توسيعها طالما هي محددة لمرور المشاة او راكبي الدواب[١٨٥] .

خلاصة البحث

من خلال ما تقدم فقد تبين لنا مجموعة من الحقائق التي كان لابد لنا من ذكرها وهي تتمثل بما يلي :

١ ـ تعد مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الاساس الذي سار على نهجه المسلمون عند بنائهم المراكز الحضرية الجديدة كالبصرة والكوفة والفسطاط وغيرها , كما انه اصبح اساس تحوير المدن المفتوحة التي دخلها العرب المسلمون مثل مدينة دمشق والتي كانت قد تميزت بتاريخ طويل الا ان المسلمين جعلوها من خلال التحوير تطابق النهج الذي اتخذه الرسول الكريم في تخطيط مدينته .

٢ ـ اتخذ المسلمون من المسجد الجامع نقطة توزيع خطط المدينة حيث كان هذا الموقع هو اساس تحديد السكك والدروب وتقسيم الخطط على القبائل وتحديد السوق حسب مسارات الشوارع ,

٣ ـ من المنشات المهمة في المدينة العربية الاسلامية هو دار الامارة الذي اتخذ موقعا ملاصقا للمسجد الجامع وهو ايضا من التقاليد التي اخذها المسلمون عن السياسة التي ثبتها الرسول الكريم من خلال بناء الحجرات وهي ملاصقة للمسجد الذي انشاه في المدينة المنورة .

٤ ـ ان مسالة تاسيس المدينة العربية الاسلامية لم تنشا عن طريق الصدفة وانما كان العرب يدققون في اماكن كثيرة قبل اختيار موقع مدنهم ويجرون التحريات الطبوغرافية والمناخية والتعبوية لمعرفة صلاحيتها .

٥ ـ ان معظم مقومات المدن العربية الاسلامية من حيث تخطبطها وتكوينها لا زالت صالحة لان توفر الاجواء المناسبة لطبقات المجتمع كافة وهذا ما يؤكد على قابلية العمارة الاسلامية على التطور والتعايش على طول فترات زمنية طويلة .

٦ ـ تعددت انواع المدن العربية الاسلامية وفقا للوظائف والمهمات التي كانت قد نشات من اجلها اذ ان كل نوع من المدن له بعض الخصائص تختلف في جوهرها عن المدن الاخرى فهناك المدن الملكية والمدن التي انشات لاغراض عسكرية اوان بعضها قد وجد اصلا لاهداف دينية مسجدية كما هو الحال في المدينة المنورة ومدينة القدس الشريف او مدن مرقدية كما هو الحال في مدينة النجف الاشرف وكربلاء المقدسة وغيرها .

٧ ـ لقد اعتاد العرب المسلمون عند القيام باي عمل عماري يسبق ذلك عملية التخطيط اذ كانت توضح رسومات او مجسمات تسبق التنفيذ ومن اشهر ما عرف عن ذلك في العالم الاسلامي انه عندما فكر عبد الملك بن مروان بتشييد قبة الصخرة طلب من المعماريين ان يجعلوا له بناءا مصغرا فعملوا نموذج سمي بقبة السلسلة وهي موجودة الا الان في الحرم القدسي فاستحسن الخليفة الاموي وطلب ان تقام القبة الاصلية على منوال هذا التصميم .

٨ ـ لم تتاثر العمارة العربية الاسلامية خلال فترة الاحتلال العثماني بالطرز العمارية العثمانية وانما بقيت محافظة على اصولها بالرغم من المحاولات الواسعة من قبي الاحتلال في طبعها بطابعها الخاص وان دل الامر على ذلك فانما يؤكد اصالة العمارة العربية الاسلامية وتلبيتها للمطالب المعيشية والخدمية

٩ ـ بينت الدراسة ان للظروف البيئية الاثر الواضح في اختيار مواقع المدن العربية الاسلامية , وقد تشابهت هذه التاثيرات في معظم المدن الاسلامية خصوصا وانها في الغالب تقع ضمن المنطقة الحارة , فتلاصقت المباني وتدرجت مقاييس الشوارع .

١٠ ـ اتضحت من خلال الدراسة ان العامل الديني لعب دورا بارزا في نشوء العديد من المدن الاسلامية مثل مدينة كربلاء , وتعتبر المراقد النواة المركزية اذ تلتف حوله كافة مرافق المدينة .

١١ ـ ان اهمية مدينة كربلاء وكذلك خصوبة تربتها كانت السبب في توفير الاجواء المناسبة لاستقبال اعداد غفيرة من الزوار الكرام . وعلى الرغم من ان هدف انشاء مدينة كربلاء ليس عسكريا او اقتصاديا الا ان قدوم الاعداد الغفيرة التي استقرت في هذه المنطقة جعل كل الظروف المطلوبة في نشوء المدن الاسلامية تتوفر فيها من حيث توفير الحماية الازمة واشتهار المدينة بالصناعات المختلفة وانواع المحاصيل الزراعية .

١٢ ـ لم تكن الاسوار حاجة ملحة في انشاء المدن الدينية لاسيما ان دواعي الامن والامان كانت متوفرة في القرن الاول والثاني الهجريين الا ان الموانع السياسية كانت وراء عدم ازدهار بعض المدن الدينية في العراق .

١٣ ـ لقد تأثرت مخططات المدن الدينية بالوظيفة الدفاعية بشكل كبير اذ انها قيدت عملية التوسع الأفقي فإذا أخذنا بنظر الاعتبار تخطيط مدينة كربلاء القديمة كما تظهرها الصور الجوية نلاحظ ان المدينة تدور حول نقطة مركزية واحدة والتي تمثل الضريحين المباركين للإمام الحسين وأخيه العباس عليه السلام وهذا النموذج يخالف بذلك نماذج المدن الاخرى التي يحدد حركة نموها توفر الاراضي الزراعية الصالحة

وكذلك توفر المياه المناسبة للاغراض المعيشية وتكون في هذه الحالة ذات حرية اوسع في الحركة العمرانية ونظام تخطيط الشوارع .

١٤ ـ ان مخططات الشوارع في المدن الاسلامية كانت مصممة لوظائف تختلف عما هي عليه الآن , فكان يحدد أبعادها مقياس حركة وسائل النقل المعروفة في ذلك الوقت المتمثلة بالعربات التي تجرها الخيول كحد أقصى, وان طراز العمارة العراقية المعتمد في تخطيط الشوارع الفرعية في المدينة العربية لم يكن مضطرا الى توسيعها طالما هي محددة لمرور المشاة او راكبي الدواب .

هوامش البحث

(١) الدراجي , نشأة البيت البغدادي , ص٣٣

(٢) عبو , موسوعة الموصل الحضارية , ج١، ص٣٩٣

(٣) عثمان , المدينة الاسلامية , ص٥١

(٤) عثمان , المدينة الاسلامية , ص٥١

(٥) خليل و ثائر , المظاهر الحضرية للمدينة المنورة , ص٨٥

(٦) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص٤١

(٧) الجميلي , حركة السياحة الدينية , ص٣٩

(٨) سامح , العمارة في صدر الإسلام , ص٥

(٩) عثمان , المدينة الاسلامية , ص٥٥

(١٠) عثمان , المدينة الاسلامية , ص٥٧

(١١) خليل و ثائر , المظاهر الحضرية للمدينة المنورة , ص ٦٥

(١٢) خليل و ثائر , المظاهر الحضرية للمدينة المنورة , ص ٦٥

(١٣) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص٢٠٨

(١٤) الدراجي نشأة البيت البغدادي , ص٣١

(١٥) الحسيني , التقنيات الفنية , ص١٢١

(١٦) الحياة الاقتصادية ونظمها قي المدن , ص١٨١

(١٧) (العميد , المناخ وتخطيط المدينة العربية , ص٥٣)

(١٨) (فكري , المدخل الى مساجد القاهرة , ص٤٣

(١٩) الياور , عوامل الوحدة في العمارة , ص١٣٦ ـ ١٣٧

(٢٠) العميد , المناخ وتخطيط المدينة العربية , ص٢٦٦

(٢١) الهيتي , المعايير المناخية المعتمدة في تخطيط المدينة العربية , ص٣٣٢

(٢٢) عثمان , المدينة الاسلامية , ص٩٥

(٢٣) ناجي , المدن العربية الاسلامية , ص١١٩

(٢٤) العلي , الأمصار العربية في العراق , ص٣٧

(٢٥) الجميلي , حركة السياحة الدينية , ص٣٩

(٢٦) عثمان , دراسات وبحوث في الآثار والحضارة , ص٤١

(٢٧) العلي , الأمصار العربية في العراق , ص٣٩

(٢٨) سلمان , العمارات العربية الاسلامية , ص١٢

(٣٣) العميد , المناخ وتخطيط المدينة العربية , ص٢٥٣

(٢٩) سلمان , العمارات العربية الاسلامية , ص١٢

(٣٠) اليوزبكي , مدن القلاع الجبلية , ص١٤٢

(٣١) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص ٢١٦ ـ ٢١٧

(٣٢) علام , فنون الشرق الأوسط , ص ١٩

(٣٤) العميد , الفنون والعمارة , ص١٩٢

(٣٥) العفاري , مداخل الدور والقصور , ص١

(٣٦) العفاري , مداخل الدور , ص٥

(٣٧) حميد , حضارة العراق , ج٩, ص١٦)

(٣٨) المعاضيدي , المدن في العهود الاسلامية المزدهرة , ص ٩٢

(٣٩) العميد , حضارة العراق , ج٩ , ص١٨٨

(٤٠) ومع كل التطور الذي شهدته مدينة واسط إلا أن احد المؤرخين يشير إلى أن دائرة المحتسب لم يرد لها أي ذكر في المصادر التاريخية , ويضيف إلا انه لابد من وجود دائرة خاصة به وذلك لحفظ سجله الذي ربما كان يسجل به أصحاب الدكاكين وأصحاب الحرف , ويضع فيها عدته كما كان الحال في بغداد , المعاضيدي , المدن في العهود الاسلامية المزدهرة , ص٨٧

(٤١) رؤوف , المدينة , ص١٦٥

(٤٢) العلي , نمو المدن وتوزيعها في العراق , ص١٩

(٤٣) مصطفى , المدن في الإسلام , ج١ , ص٣٩٥

(٤٤) علام , فنون الشرق الأوسط , ص ١٩

(٤٥) عبد الغفور , واجهات العمارة العراقية , ص١٩

(٤٦) الاشعب , المدينة العربية , ص٦

(٤٧) الاشعب , المدينة العربية , ص١٨

(٤٨) العميد , المناخ وتخطيط المدينة العربية , ص٢٥٥ , وهناك نظرة ربما تبتعد عن واقع المدينة الاسلامية يشير اليها احد الباحثين عن اسباب زحمة المدن القديمة وضيق شوارعها ويقول ((وكان ازدياد كثافة المناطق المأهولة بالسكان قد ادى بطبيعة الحال الى تلاصق دورها وحاراتها , كما ادى ببعض الناس الى اقتطاع اجزاء من الطرقات العامة والبناء فيها , او توسيع دورهم على حساب الميادين والساحات , حتى لم يبقى في بغداد شارع مستقيم تقريبا))(رؤوف , المدن , ص١٨٥) وهو راي يخالف ما شرنا اليه في هذه الدراسة .

(٤٩) رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ص٤٦

(٥٠) العربي , دور التخطيط العمراني , ص٩٣

(٥١) علي , الفناء الوسطي المكشوف , ص١٣٠

(٥٢) رزق , معجم مصطلحات العمارة , ص٤٦

(٥٣) كمونه , التلوث البصري , ص٥٥

(٥٤) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص٢٠٠

(٥٥) يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية القديمة في مختلف العصور ، ص١٧١

(٥٦) شافعي , العمارة العربية في مصر الاسلامية , ص٢٨

(٥٧) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص ٢٥٠

(٥٨) الجنابي , العمارة العراقية , ص ٢٩١

(٥٩) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص٢٠٠

(٦٠) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص٢٠٠ ـ ٢٠١

(٦١) الاشعب , المدينة العربية , ص٨

(٦٢) العميد , المناخ وتخطيط المدينة العربية , ص ٢٥٥

(٦٣) حمودي , قبة زمرد خاتون , ص١١١

(٦٤) الاشعب , المدينة العربية , ص١٥

(٦٥) الياور , عوامل الوحدة في العمارة العربية , ١٣٧

(٦٦) فكري , مساجد القاهرة ومدارسها , ص٤٣

(٦٧) الياور , عوامل الوحدة في العمارة , ص١٤١

(٦٨) علام , فنون الشرق الأوسط , ص ١٣٦

(٦٩) الدراجي , نشأة البيت البغدادي , ص٣١

(٧٠) اتنكهاوزن , فن التصوير عند العرب , لوح ١٢١ نقلا عن محاضرات الدكتور طارق الجنابي

(٧١) رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ص٤٦

(٧٢) محمد العمارة العربية في العصر الإسلامي , ص١٧

(٧٣) العميد , دور الخلافة ومراكزها , ص١١٣

(٧٤) حميد , حضارة العراق , ج٩ , ص٣١

(٧٥) محمد ، المهندسون وهندسة المباني ، ص٨٦

(٧٦) محمد ، المهندسون وهندسة المباني في العصر الإسلامي ، ص٨٥)

(٧٧) مصطفى , الصنج الحجرية المعشقة , ص١٧٣

(٧٨) شافعي , العمارة العربية الاسلامية , ص١٤٠

(٧٩) يتكون التخطيط المعماري لكنيسة ايا صوفيا من بيت للصلاة المقفل بالجدران من جوانبه الأربعة والمغطى بالقباب وأنصافها وبالقبيبات ويتقدمه فناء محاط برواق في جوانبه الأربعة , وهو فناء لا يؤدي بأي حال من الأحوال الوظيفة التي كان يقوم بها الصحن في المسجد النبوي والمساجد الاسلامية التي سارت على منواله , شافعي , العمارة العربية الاسلامية , ص١٤١

(٨٠) شافعي , العمارة العربية الاسلامية , ص١٤١

(٨١) شافعي , العمارة العربية الاسلامية , ص١٤٣

(٨٢) شافعي , العمارة العربية الاسلامية , ص١٣٨ ـ ١٣٩

(٨٣) شافعي , العمارة العربية الاسلامية , ص١٣٩

(٨٤) الحسيني , التقنيات الفنية , ص١٢١ـ ١٣٠

(٨٥) بهنسي ، العمارة عبر التاريخ ، ص١٠

(٨٦) السعدي , علم البيئة , ص٢٢

(٨٧) سعيد , الفنون , ص٤٢٨

(٨٨) السعدي , علم البيئة , ص٢٤

(٨٩) سعيد , الفنون , ص٤٢٨

(٩٠) شافعي , العمارة العربية في مصر الاسلامية , ص٢٨٦

(٩١) سعيد , الفنون , ص٤٢٨

(٩٢) علي , الفناء الوسطي المكشوف , ص١٣٢

(٩٣) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص٢٠٠

(٩٤) عبد الجواد ، تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى , ص ١٧٥

(٩٥) علي , الفناء الوسطي المكشوف , ص١٢٩

(٩٦) خليل , مصادر المياه في مدينة النجف الاشرف , ص٣٠٢

(٩٧) الاعظمي ، تاريخ الري في بلاد الرافدين ، ص ٦٨

(٩٨) العميد , المناخ وتخطيط المدينة العربية , ص٢٥٣

(٩٩) الشريف ، حل مشكلة السكن في الأحياء الفقيرة ، ص٦٤

(١٠٠) العميد , المناخ وتخطيط المدينة العربية , ص٢٥٢ـ ٢٥٣

(١٠١) الحسيني , التقنيات الفنية , ص١٢١

(١٠٢) عثمان , المدينة الاسلامية , ص١٠١

(١٠٣) الحمداني و الشيخلي , المدن العراقية , ص٣٣٤

(١٠٤) الموسوي , العوامل التاريخية لنشاة وتطور المدن , ص ٢١٠ ـ ٢١١

(١٠٥) شافعي , العمارة العربية في مصر الاسلامية , ص٢٨٤

(١٠٦) شافعي , العمارة العربية في مصر الاسلامية , ص٢٩٠

(١٠٧) رؤوف , الخدمات العامة في المدن العراقية , ص١٩٢

(١٠٨) الدراجي نشاة البيت البغدادي , ص٣١

(١٠٩) الاعظمي , الزخارف الجدارية في آثر بغداد , ص١١٧

(١١٠) سامح , العمارة الاسلامية في مصر , ص١٤

(١١١) شافعي , العمارة العربية في مصر الاسلامية , ص٢٩١

(١١٢) شافعي , العمارة العربية في مصر الاسلامية , ص٢٩٠

(١١٣) شافعي , العمارة العربية في مصر الاسلامية , ص٢٩١

(١١٤) علي , الفناء الوسطي المكشوف , ص١٣٣

(١١٥) رزق , معجم مصطلحات العمارة , ص١٦٧

(١١٦) كمونه , اثر المناخ في تخطيط المدينة العربية التقليدية , ص٢٩٦

(١١٧) وقد كانت العقود النصف دائرية هي المستخدمة في بداية الاسلام ثم ظهرت بعد ذلك العقود المدببة , سامح , العمارة الاسلامية في مصر , ص١٤

(١١٨) العميد , اكتمال المدرسة العمارية العباسية , ص٦

(١١٩) رزق , معجم مصطلحات العمارة , ص١٦٧

(١٢٠) سعيد , الفنون , ص٤٢٨

(١٢١) علي , الفناء الوسطي المكشوف , ص١٣٢

(١٢٢) رؤوف , المدينة , ص١٩١

(١٢٣) رؤوف , المدينة , ص١٩١

(١٢٤) الدراجي , نشأة البيت البغدادي , ص٣٦

(١٢٥) الدراجي نشاة البيت البغدادي , ص٣٦

(١٢٦) الاشعب , المدينة العربية , ص٣٣

(١٢٧) الدراجي نشاة البيت البغدادي , ص٣٥

(١٢٨) علي , الفناء الوسطي المكشوف , ص١٣٠

(١٢٩) فهد , الحياة اليومية في المدينة العراقية . ص١٥٤

(١٣٠) سليمان , عمارة البيت العراقي القديم , ص١٨٣

(١٣١) رؤوف , المدينة , ص ١٩٠

(١٣٢) رزق , معجم مصطلحات العمارة , ص١٦٧

(١٣٣) شافعي , العمارة العربية في مصر الاسلامية , ص٢٩

(١٣٤) العميد , المناخ وتخطيط المدينة العربية , ص٢٥٢ـ ٢٥٣

(١٣٥) الاشعب , المدينة العربية , ص٨

(١٣٦) الوردي ، المدافن في العراق القديم ، ص١٠٩

(١٣٧) الدراجي نشاة البيت البغدادي , ص٣٢

(١٣٨) آل جعفر ، الإيوان في العمارة العراقية ، ص ٤١

(١٣٩) الاشعب , المدن العربية , ص٨ ـ ٩

(١٤٠) حمودي , تخطيط مدينة الكوفة وبنائها , ص١٢٤

(١٤١) مهدي ، مدينة كربلاء ، ص٧

(١٤٢) حمودي , تخطيط مدينة الكوفة وبنائها , ص١٢٤

(١٤٣) عثمان , دراسات وبحوث في الآثار والحضارة , ص٤٦

(١٤٤) حول هذا الموضوع ينظر : نصر الله , تخطيط وعمارة المراقد , ص٢٥٧ـ ٢٦١ يقصد بالسبيل أو السقاية بأنها الموضع المتخذ فيه الماء لإرواء العطشى في المواسم وغيرها, الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج١٠ ، ص١٨٠ ؛ وهو عبارة عن بناء

صغير يخصص في الأماكن العامة وأركان الأبنية الدينية والمدنية لتسبيل الماء إلى أهل الحي والمترددين عليه , رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون ، ص١٣٨ .

(١٤٥) الاشعب , المدن العربية , ص١٦

(١٤٦) فكري , المدخل الى مساجد القاهرة , ص٣١

(١٤٧) الجنابي , العمارة العراقية , ص٢٩٠ ـ ٢٩١

(١٤٨) غضب , الفن المعماري والهندسة التشكيلية , ٤٢

(١٤٩) الجنابي , العمارة العراقية , ص٢٩٢

(١٥٠) امين , لمحه تاريخية مجملة , ص١٠٩

(١٥١) الموسوي , العوامل التاريخية لنشاة وتطور المدن , ص١٨٦

(١٥٢) الصفار , مدينة كربلاء في سيرها التاريخي والحضاري ، ص٢٨

(١٥٣) الموسوي , العوامل التاريخية لنشاة وتطور المدن , ص١٨٤

(١٥٤) آل طعمه ، مدينة الحسين ، ج٤ ، ص١٥

(١٥٥) امين , لمحه تاريخية مجملة , ص١١١

(١٥٦) مصطفى , المدن في الإسلام , ج٢ , ص٢٩٢

(١٥٧) بيج , الحائر الحسيني , ص٩١

(١٥٨) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص١٨٤

(١٥٩) آل طعمه , بغية النبلاء في تاريخ كربلاء ، ص٥١

(١٦٠) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص١٨٤

(١٦١) حمودي , قبة زمرد خاتون , ص ١١١

(١٦٢) عثمان , المدينة الاسلامية , ص٩٨

(١٦٣) الموسوي , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن , ص ٢١٠

(١٦٤) الاشعب , المدينة الاسلامية , ص١٦

(١٦٥) الياور , عوامل الوحدة في العمارة , ص٣٤٢)

(١٦٦) حول هذا الموضوع ينظر : نصر الله , تخطيط وعمارة المراقد , ص١٠٤ـ ١٠٧

(١٦٧) عثمان , دراسات وبحوث في الآثار والحضارة , ص٤١

(١٦٨) فهد , الحياة اليومية في المدينة العراقية , ص٢٤٢

(١٦٩) الحمداني و الشيخلي , المدن العراقية , ص٣٢٤

(١٧٠) الجنابي , العمارة العراقية , ٣٥٠

(١٧١) الحمداني و الشيخلي , المدن العراقية , ص٢٩٨

(١٧٢) الحمداني و الشيخلي , المدن العراقية , ص٢٩٨

(١٧٣) المظفر ، بطل العلقمي , ص٤٢٧

(١٧٤) محمد العمارة العربية في العصر الاسلامي , ص٨٧

(١٧٥) الجميلي , حركة السياحة الدينية , ص٩٧

(١٧٦) شافعي , العمارة العربية في مصر الاسلامية , ص٢٨

(١٧٧) الاشعب , المدن العربية , ص٩

(١٧٨) عثمان , المدينة الاسلامية , ص٩٦

(١٧٩) نورس , مدن القلاع , ص٢٦٧

(١٨٠) الحمداني و الشيخلي , المدن العراقية , ص٣٣٤

(١٨١) عثمان , المدينة الاسلامية , ص ١٧٣

(١٨٢) عثمان , المدينة الاسلامية , ص ١٧٣

(١٨٣) خليل و ثائر , المظاهر الحضرية للمدينة المنورة , ص٨١

(١٨٤) كمونه , التلوث البصري , ص٦٣

(١٨٥) شريف , تاريخ فن العمارة , ص٥٨٠

مصادرالبحث

ايتنكهاوزن , ريتشارد , فن التصوير عند العرب , ترجمة وتعليق عيسى سلمان و وسليم طه التكريتي , وزارة الاعلام العراقية , مطبعة الاديب البغدادية , بغداد ١٩٧٣م

الاشعب , خالص , المدينة العربية ـ التطور , الوظائف , البنية والتخطيط , مؤسسة الخليج للطباعة والنشر , الكويت ١٩٨٢م

الاعظمي ، عواد مجيد ، تاريخ الري في بلاد الرافدين في صدر الإسلام حتى نهاية العهد العباسي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٥

الاعظمي , خالد خليل حمودي , الزخارف الجدارية في آثار بغداد , دار الرشيد للنشر , بغداد ١٩٨٠م

امين , حسين ((لمحة تاريخية مجملة عن مدن العتبات المقدسة)) المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة , مؤسسة الاعلمي للطباعة , بيروت ١٩٨٧م

بهنسي ، عفيف ، العمارة عبر التاريخ ، ط١، دار طلاس ، دمشق ١٩٨٧
بيج , امير جواد كاظم علي , الحائر الحسيني ـ دراسة تاريخية ـ ٦١ـ ٦٥٦هـ / ٦٨٠ـ ١٢٥٨ رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة الكوفة , كلية الاداب ٢٠٠٧م
آل جعفر ، زين العابدين موسى جعفر، الإيوان في العمارة العراقية حتى نهاية العصر العباسي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م
الجميلي , رياض كاظم سلمان ((حركة السياحة الدينية واثرها في تقييم كفاءة قطاع الخدمات المجتمعية في مدينة كربلاء لعام ٢٠٠٦م)) مجلة الباحث , مامعة كربلاء كلية التربية , العدد الاول ٢٠١١م
الجميلي , عبد القادر سعدي , تطور الخدمات السياحية للاماكن التراثية واثرها في الطلب السياحي ـ دراسة ميدانية لمنطقة دار الحكومة العراقية القديم , الطبعة الاولى , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد ٢٠١٢م
الجنابي , طارق جواد ((العمارة العراقية)) موسوعة حضارة العراق , دار الحرية للطباعة , بغداد ١٩٨٥م
الحسيني , هاني محي الدين ((التقنيات الفنية في تزيين العمارة في بلاد الرافدين)) مجلة دراسات تاريخية , تصدر قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة , بغداد ٢٠٠٨م , العدد ٢٠ السنة السابعة
الحمداني , طارق نافع و الشيخلي , صباح ابراهيم ((المدن العراقية كمراكز للنشاط الاقتصادي في العهود المتأخرة ١٥٣٤هـ / ١٩١٤م)) سلسلة المدينة والحياة المدنية , الجزء الثاني , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٨م
حمودي , خالد خليل ((تخطيط مدينة الكوفة وبنائها)) من ابحاث الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب , مركز احياء التراث العلمي العربي , بغداد ١٩٩٠م
حمودي , خالد خليل ((قبة زمرد خاتون ـ دراسة تاريخية عمارية فنية)) مجلة دراسات تاريخية , تصدر قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة , بغداد ٢٠١١م , العدد ٢٨ السنة العاشرة

حميد , عيسى سلمان ((تخطيط المدن)) موسوعة حضارة العراق , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٥م

خليل , خولة معارج ((مصادر المياه في مدينة النجف الاشرف)) مجلة سومر , الهيئة العامة للآثار والتراث , بغداد , المجلد السابع والخمسون , بغداد ٢٠١٢م

الدراجي , حميد محمد حسن ((نشأة البيت البغدادي وتطوره عبر العصور)) مجلة آفاق عربية , العدد السادس , السنة الحادية عشر ١٩٦٨م

دللي , ولفرد جوزيف , العمارة العربية في مصر في شرح المميزات البنائية الرئيسية للطراز العربي , الطبعة الثانية , ترجمة محمود احمد , اشراف محمد ابو العمائم , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة ٢٠٠٠م

رؤوف , عماد عبد السلام ((الخدمات العامة في المدن العراقية ـ الحقبة الحديثة)) سلسلة المدينة والحياة المدنية , الجزء الثاني , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٨م

رؤوف , عماد عبد السلام ((المدينة العراقية) موسوعة حضارة العراق , دار الحرية للطباعة , بغداد ١٩٨٥م

رزق , عاصم محمد , معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ,الطبعة الاولى , مطبعة مدبولي , القاهرة ٢٠٠٠م

رويتر , اوسكار , البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى , ترجمة : محمود كبيبو , شركة دار الوراق للنشر , لندن

سامح , كمال الدين , العمارة في صدر الاسلام , المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر , القاهرة

سامح , كمال الدين , العمارة الاسلامية في مصر , , ط٣, الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة ١٩٨٧م

السامرائي , خليل ابراهيم و محمد , ثامر احمد , المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة / ١ ـ ١١ هجرية ـ٦٢٢ ـ ٦٣٢ميلادية , الطبعة الاولى , منشورات مكتبة بسام , الموصل ١٩٨٤م

السعدي , حسين , علم البيئة , دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع , الطبعة العربية , عمان ٢٠٠٨م

سعيد , مؤيد ((الفنون والعمارة في العراق القديم)) العراق في موكب الحضارة , الاصالة ـ والتاثير , دار الحرية للطباعة , بغداد ١٩٨٨م

سلمان , عيسى وآخرون , العمارات العربية الاسلامية في العراق , الجزء الثاني , دار الرشيد للنشر, بغداد ١٩٨٢

سليمان , موفق جرجيس , عمارة البيت العراقي القديم القديم في عصور ما قبل التاريخ , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد ـ كلية الآداب ١٩٧٦م

شافعي , فريد , العمارة العربية في مصر الاسلامية ـ عصر الولاة , الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر , القاهرة ١٩٧٠م

شافعي , فريد , العمارة العربية الاسلامية ـ ماضيها وحاضرها ومستقبلها , جامعة الملك سعود , الرياض ١٩٨٢م

شريف , باقر , تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور , دار الرشيد للطباعة وللنشر , بغداد ١٩٨٢م

الشريف ، روحي ، حل مشكلة السكن في الأحياء الفقيرة ، شركة مكة للطباعة والنشر ١٩٨٤

الصفار ، محمد فاضل ، ((مدينة كربلاء في سيرها التاريخي والحضاري)) وقائع الندوة الأولى المقامة في المملكة المتحدة حول مدينة كربلاء ، ط١ ، الكويت ١٩٩٦

آل طعمه ، عبد الحسين الكليدار بغية النبلاء في تاريخ كربلاء ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٦٦م

آل طعمه ، محمد حسن مصطفى الكليدار ، مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء ، ط١، مطبعة النجاح ، بغداد ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م

عبد الجواد ، توفيق احمد ، تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى ، ط٢ ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٧٠

عبد الغفور , هناء عبد الخالق , واجهات العمائر العراقية بين القرنين السابع والثامن الهجريين , اطروحة دكتوراه غير منشورة , جامعة بغداد ـ كلية الاداب ١٩٩٦م

عبو ، عادل نجم ((فن العمارة)) موسوعة الموصل الحضارية ج١، الموصل ١٩٩١

عثمان , محمد عبد الستار , المدينة الاسلامية , الطبعة الاولى , دار الافاق العربية للطباعة والنشر , القاهرة ١٩٩٩م

عثمان , محمد عبد الستار وآخرون , دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الاسلامية , الكتاب الاول ـ الجزء الاول ـ العمارة , الطبعة الاولى , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر , الاسكندرية ٢٠٠٨م

علي , بسام ابراهيم , الفناء الوسطي المكشوف في العمارة العراقية في العصر العباسي (نماذج مختارة) ١٣٢هـ ـ ٦٥٦م / ٧٥٠ـ ١٢٥٨م , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة اليرموك , عمان ٢٠٠٠م

العربي , قدري محمد غريب , ((دور التخطيط العمراني والتنمية الحضرية في تحسين احوال المدن القائمة)) مجلة آفاق عربية , السنة الرابعة العدد الاول ١٩٧٩م

العفاري , داخل مجهول مسنسل , مداخل الدور والقصور في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد ١٩٨٧م

علام , نعمت اسماعيل , فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية , الطبعة الثانية , دار المعارف , مصر

العلي , صالح احمد ((نمو المدن وتوزيعها في العراق في العهود الاسلامية الزاهرة)) سلسلة المدينة والحياة المدنية , الجزء الثاني , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٨

العلي , صالح احمد ((الامصار العربية في العراق الكوفة والبصرة في العهود الاسلامية الاولى)) سلسلة المدينة والحياة المدنية , الجزء الثاني , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٨م م

العميد , طاهر مظفر ((اكتمال المدرسة المعمارية العباسية وامتداداتها في المشرق الاسلامي)) بحث القي في المنظمة العربية للثقافة والفنون والاداب في تونس ١٩٨٩م

العميد , طاهر مظفر ((دور الخلافة ومراكزها)) سلسلة المدينة والحياة المدنية , الجزء الثاني , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٨م

العميد , طاهر مظفر ((الفنون العمارية في العراق))موسوعة العراق في موكب الحضارة ـ الاصالة والتاثير , الجزء الرابع , دار الحرية للطباعة , بغداد ١٩٨٨م

العميد , طاهر مظفر ((المناخ وتخطيط المدينة العربية الاسلامية)) من ابحاث الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب , مركز احياء التراث العلمي العربي , بغداد ١٩٩٠م

العميد , طاهر مظفر ((العمارة العسكرية)) موسوعة حضارة العراق , دار الحرية للطباعة , بغداد ١٩٨٥م

غضب , شاكر هادي , الفن العماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الاسلامية والمراقد المقدسة , ملحق مجلة التراث الشعبي , العدد الثامن ـ السنة الثامنة , دار الحرية للطباعة , بغداد ١٩٧٧م

فكري , احمد , المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها , القاهرة

فهد , بدري محمد ((الحياة اليومية في المدينة العراقية)) سلسلة المدينة والحياة المدنية , الجزء الثاني , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٨م

فهد , بدري محمد , العامة في بغداد في القرن الرابع الهجري ـ بحث تاريخي في الحياة الاجتماعية لجماهير بغداد , ط٢, من اصدارات بغداد عاصمة الثقافة العربية , بغداد ٢٠١٢م

الكبيسي , حمدان عبد المجيد , ((الحياة الاقتصادية ونظمها في المدن في عهد الازدهار الاسلامي)) سلسلة المدينة والحياة المدنية , الجزء الثاني , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٨م

كمونة , حيدر , التلوث البصري للشوارع التجارية في مدينة بغداد , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ٢٠٠٤م

كمونه , حيدر ((اثر المناخ في تخطيط المدينة العربية التقليدية)) من ابحاث الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب , مركز احياء التراث العلمي العربي , بغداد ١٩٩٠م

محمد , غازي رجب , العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق , وزارة العليم العالي والبحث العلمي العراقية , بغداد ١٩٨٩م

محمد ،غازي رجب ((المهندسون وهندسة المباني في العصر الإسلامي)) ندوة حوار في التاريخ والحضارة ، مجلة الأستاذ ، كلية التربية . ابن رشيد ، جامعة بغداد ٢٠٠٢م

المعاضيدي , عبد القادر سلمان ((المدن في العهود الاسلامية المزدهرة)) سلسلة المدينة والحياة المدنية , الجزء الثاني , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٨م

مهدي ، علي محمد ، مدينة كربلاء ـ كراس اعد بمناسبة انعقاد الدورة التاسعة للمجلس الإداري لمنظمة العواصم العربية والمدن الإسلامية ، مطبعة أمانة العاصمة ، بغداد ١٩٨٦م

مهدي , علي محمد , مدينة كربلاء , بحث القي في الدورة التاسعة للمجلس الاداري لمنظمة العواصم والمدن الاسلامية , بغداد ١٩٨٦م

الموسوي , مصطفى عباس , العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية , دار الرشيد للنشر , بغداد ١٩٨٢م

ناجي , عبد الجبار , دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية , الطبعة الاولى , شركة المطبوعات للدراسات والنشر , بيروت ٢٠٠١م

نصر الله , ميثم مرتضى مصطفى , تخطيط وعمارة المراقد الدينية في مدينة كربلاء حتى نهاية العصر العثماني , اطروحة دكتوراه غير منشورة , جامعة بغداد ـ كلية الاداب ٢٠١٠م

نصر الله , ميثم مرتضى مصطفى ((الصنج الحجرية المعشقة والمفرده في العمارة العربية الاسلامية)) مجلة دراسات في التاريخ والاثار , كلية الاداب ـ جامعة بغداد , العدد الثالث والعشرون ٢٠١١م

نورس , علاء موسى كاظم ((مدن القلاع)) سلسلة المدينة والحياة المدنية , الجزء الثاني , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٨م

الهيتي , صبري فارس ((المعايير المناخية المعتمدة في تخطيط المدينة العربية ـ الكوفة حالة تطبيقية)) من ابحاث الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب , مركز احياء التراث العلمي العربي , بغداد ١٩٩٠م

الوردي ، محمود فارس عثمان ، المدافن في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

الياور , طلعت رشاد , العمارة العربية الاسلامية في مصر , مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي , بغداد ١٩٨٩م

الياور , طلعت رشاد ((عوامل الوحده في العمارة العربية الاسلامية ـ المبادئ والمضامين المشتركة)) وقائع ندوة العمارة العربية الاسلامية ـ سمات الماضي وتطبيقات الحاضر , منشورات المجمع العلمي العراقي ١٩٩٩م

اليوزبكي , توفيق سلطان ((مدن القلاع الجبلية)) سلسلة المدينة والحياة المدنية , الجزء الثاني , دار الحرية للطباعة والنشر , بغداد ١٩٨٨م